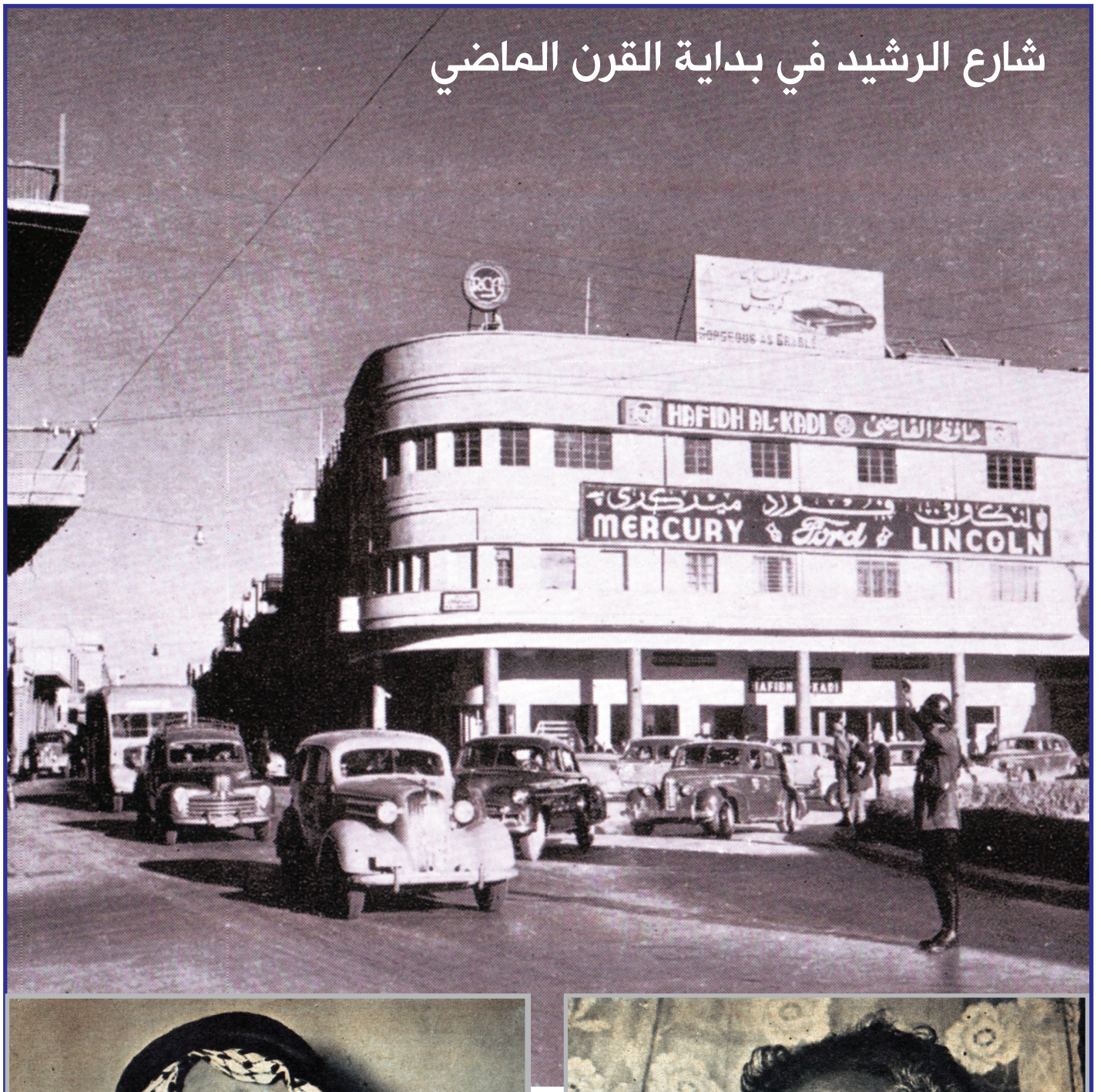

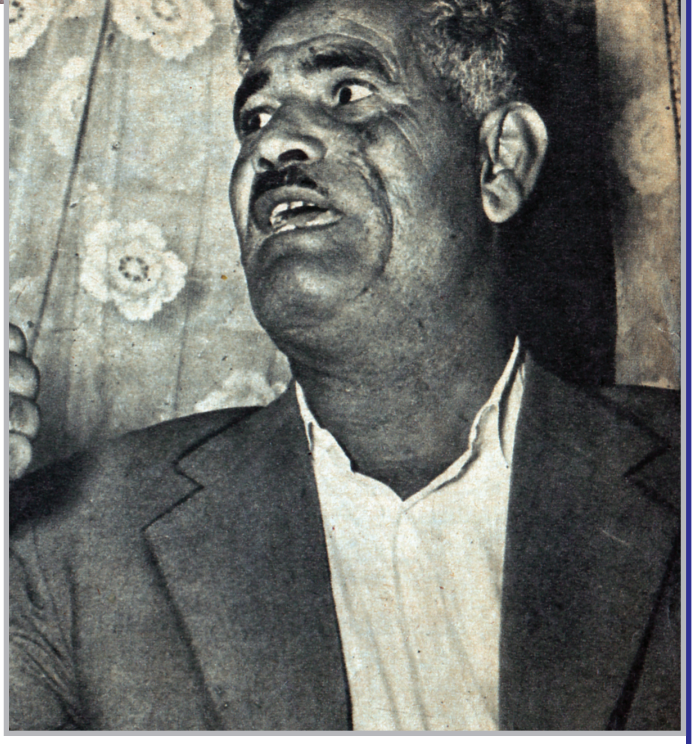

شقيقا عبد الكريم قاسم يرويان ماجرى يوم ١٤ تموز :

فوجئنا بالثورة مثل معظم العراقيين

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

ملحق اسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للاعلام والثقافة والفنون

العدد (1480) السنة السادسة الاثنين (13) نيسان 2009

رستم حيدر ودوره في تأسيس الحكم الملكي في العراق

ص ٤

العلاقة بين ملكين

بعد وفاة الملك فيصل الأول تولى الملك عبد الله عمادة الأسرة الهاشمية بحكم العرف السائد لدى العوائل العريقة في تقاليدها المتوازنة في ان تؤول الرئاسة الى من بيده الحكم والسلطة، وقد استبعد الملك المخلوع علي بن الحسين شقيق عبد الله الأكبر من هذه المهمة لعدم امتلاكه تلك المقومات والمزايا في شخصيته التي قد تمنحه القدم على أخيه حتى لو لم يكن صاحب سلطان وعرش.

ذاكرة عراقية
جميل ابو طبيخ

وفي العراق ارتقى ولي العهد الأمير غازي بن فيصل ولم يكن قد أعد لهذه المسؤولية الصعبة التي أوكلت إليه في وقت سابق لأوانه ولم يتم نضوجه السياسي وإعداده لتحمل أمر قيادة الامة ورئاسة البيت الهاشمي في بغداد.

كان الجو دوماً ملبداً بين قصور بغداد وعمان جرياً على عادات التنافس التقليدي داخل البيوت على الامتيازات والمناصب، لذا لم تكن العلاقة بين عبد الله وابن أخيه غازي على ما يرام، ومن أهم وأبرز أسبابها ما كان يتردد متواتراً عن ابيه عندما كان كل من الأخوين فيصل وعبد الله يتنافسان على عرش العراق.

بعد إخماد ثورة العشرين ٢٩ حزيران ١٩٢٠ وتسمية عدد من الأشخاص لعرش العراق، بايع سكان الفرات الأوسط وأهالي بغداد والموصل والبصرة (الأمير) عبد الله لتسنم العرش، وجاء أهالي جنوب العراق بمضابط الترشيح ابتداءً من عام ١٩١٩ يطلبون عبد الله ملكاً عليهم، الا أن السياسة البريطانية كان لها رجل آخر.. (فعينوا) فيصل بدلاً من أخيه، وبذا اعتبر عبد الله أن حقه في العراق قائم ما دام أهل العراق هم الذين اختاروه ملكاً عليهم وليس بترشيح الإنكليز، وبموت الملك فيصل المفاجئ في سويسرا كثرت الأقوال والعديد من القصص عن (اغتياله) وبالتأكيد فإن أول المرشحين لهذا العمل هم الإنكليز، ثم نوري السعيد الذي كان بمعيته، وتستمر التسميات الى ان يصل الى عبد الله الذي اتهم باعتبار انه أراد التخلص من أخيه ليخلوا له الجو لتسنم عرش العراق!!.

ساد الانفعال في العلاقة بن قصور بغداد وعمان بعد ان أطلعت الأميرة صالحة أخاها عبد الله انها ترعى ابنتي أخيها فيصل بعد ان طردنا من القصر الملكي من قبل (عالية) وغازي، ذلك الى جانب ما قام به بعض ساسة بغداد ممن يتصيدون في الماء العكر، فكتبوا الى عبد الله بما هو مبالغ فيه ولا يحمل بسطوره غير النفاق السياسي ذلك، كرهاً بغازي وإمعاناً في شرذمة وحدة البيت الهاشمي ملوحين بحرصهم الشديد على سمعة الملك خاصة والعائلة التي هم مؤتمنون عليها عموماً.

وفي الوقت الذي كان عبد الله يتواصل مع أخته صالحة ويزودها بالمال فإنه استمر على اتصالاته بغازي لتسوية خلافاته مع أختيه، فلم يوفق في جهوده، وبعد تبادل الاتصال مع ياسين الهاشمي رئيس الوزراء نصحه هذا بالمجيء الى بغداد فشد الرحال اليها ووصلها مطلع نيسان من عام ١٩٣٥ الا انه فشل في جهوده وعاد الى عمان بعد ان تعرف أكثر على شخصية غازي المزاجية، واطلع على حياة أخيه الملك المتقاعد علي الذي وجده يائساً عاجزاً منزوياً في منزله لا حول له ولا طول وسط المشاكسات بين أميرات البيت الهاشمي والتيارات التي تكاد تحطم العرش الذي يجلس عليه الملك غازي، غير واع لما يجري حوله مشغولاً بالاستماع لمرافقيه من الضباط والمقربين منه من المتزلفين، وباللهو المستمر معهم ليلاً.

تفاقم تدهور العلاقات داخل البيت الهاشمي سواء في بغداد أو عمان عندما تزوجت شقيقة غازي الأميرة عزة من عامل أحد الفنادق وهي في رحلة اصطياف مع شقيقتها الأميرة راجحة في اليونان، وقد اعتبر عبد الله هذه (المصيبة) العائلية نتيجة حتمية لإفراط غازي في سوء معاملته لشقيقتيه، وبهذه الحادثة انتهت علاقة المجاملات (الأبوية) بين العم وابن أخيه لتحل محلها لغة التخاطب الرسمية على مستوى البلاطين.

ونتيجة لانقلاب بكر صدقي والإطاحة بوزارة ياسين الهاشمي عام ١٩٣٦ والذي يعتقد انه تم بمباركة الملك غازي، هربت فخرية السعيد زوجة جعفر العسكري وزير الدفاع في الوزارة الهاشمية، بعد ان اغتاله الانقلابيون ولجأت الى مصر مع أخيها نوري السعيد.

وبعد مكوثها بفترة وجيزة في القاهرة أخذت بالكتابة الى كل من الأمير عبد الله والملك غازي تستعطفهما السماح لها بالعودة الى بغداد، فكتب عبد الله الى ابن أخيه برسالة تتسم لغة الخطاب فيها بالرسميات والتحفظ يرجوه الرأفة بحرم العسكري، ولم يعر غازي طلب عمه أي أهمية، نتيجة للأجواء المتوترة بين البيتين الهاشميين واستسلام البلاط العراقي لنفوذ رئيس الوزراء حكمت سليمان وسيطرة ضباط بكر صدقي.

وعندما وصلت عقيلة العسكري مع طفلها على الطائرة من القاهرة لم يسمح لها بمغادرة مطار بغداد وأعيدت الى منفاها في اليوم نفسه ولم تؤخذ وساطة الأمير عبد الله بنظر الاعتبار.

ساد بغداد خاصة والعراق عامة جو من التوتر والتوقع وتباينت الإشاعات جراء ما كانت تبثه إذاعة قصر الزهور بشان المطالبة بضم الكويت الى الوطن الأم، وعندما اغتيل جعفر العسكري وزير الدفاع في وزارة ياسين الهاشمي على يد الضباط الانقلابيين قيل ان الملك غازي أمر باغتياله لانه كان من المعارضين له ولأوامر بإعداد الجيش العراقي لاستعادة الكويت.

وتفادياً لصدام ومواجهة عسكرية غير مرغوب فيها مع العراق بعد ان أصبح الوضع حرجاً، قام السفير البريطاني في بغداد حينذاك السيرارجيبالد كلارك كير بتقديم اقتراح الى حكومته ان يقوم الأمير عبد الله بتقديم النصح والتوسط عند ابن أخيه لوضع حد لتحديات غازي المتزايدة للنفوذ البريطاني في المنطقة.

قصد عبد الله بغداد فوصلها يوم ٢٧ كانون الأول ١٩٣٦ المصادف ١٠ شعبان ١٣٥٥ هـ وفي قرارة نفسه ان مهمته هذه سوف تبوء بالفشل تماماً مثل تلك التي قام بها قبيل سنة تقريباً.

لقد أدرك عبد الله أنه من الصعب عليه التفاهم مع غازي، وذلك من أول يوم لزيارته عندما ترك عمه ينتظر طويلاً لموعد معه ومع وفده، وأدرك من تلك التجربة ان وجوده في بلاطه أهم من مضيعة وقته في البلاط العراقي.

وترضية للحكومة البريطانية وتطميناً لها فقد أوفد نجله الأكبر الأمير طلال الى بغداد ثقة منه برابطة الصداقة التي كانت تربط أبناء العم، الا انه كما انتهت زيارة الأب بالفشل انتهت مساعي الابن بعد ان تبرم من تجاهل غازي له وعدم الأخذ بآرائه، فسارع بالطلب من والده بالموافقة على إنهاء مهمته بالرغم من قناعته ان لغازي آراء مشتركة معه فيما يخص الإنكليز، وعند توديعه قال لفؤاد عارف أحد مرافقي الملك: «... إني أخاف على غازي من الإنكليز..».

كان الملك غازي مشكلة قائمة مزمنة متأزمة في حياة الملك عبد الله العائلية والسياسية حلها القدر بنهاية مأساوية.

الملك غازي

الملك عبد الله

البرقية التي ارسلها الملك عبدالله الى غازي والمتعلقة بارملة جعفر العسكري

الأشقياء في بغداد

للشقاوة في بغداد تاريخ طويل يمتد الى الدولة العباسية، حيث كانوا يسمون بالشطار والعيارين، وقد تدخلوا بمعارك الأمين والمأمون، وذكرت التواريخ بإسهاب وتفصيل أعمالهم ونجاحاتهم، وقد كان من علو المركز والنجاح، وقد كان من علو المركز والمهابة في بغداد ان يوصف الرجل بالشقاوة، والشقاوة نوعان، شقاوة الشهامة والنخوة ومساعدة الضعيف على القوي، وشقاوة الإجرام كاللصوصية والسلب والاعتداء على الغير، ضعيفاً كان أو قوياً.

وفي أيام ثورة العشرين اشتهر في بغداد بشقاوة الشهامة والنخوة المرحوم عبد المجيد كنة عم المرحوم خليل كنة، وخصوصاً في محلته السيد عبد الله والمحلات الأخرى المجاورة، ثم في أوساط الثوار في بغداد، وقاوم الإنكليز مقاومة عنيفة وأردى بعضاً منهم قتلى، ووزع المناشير الداعية الى الثورة ومقاومة الاحتلال.

فشددت السلطات البريطانية الخناق عليه، وتمكنت من إلقاء القبض عليه، وفي محاكمة سريعة قضت بإعدامه فأعدم ودفن في تشييع مهيب بمقبرة الشيخ جنيد بالكرخ، ولم تزل غرفة ضريحه قائمة وعلى جدارها الداخلي صورته المكبرة مرتدياً العقال واليشماغ وزيون البته.

ومن أشقياء بغداد ذوي النخوة والشهامة موسى أبو طبرة وكان وسيما بسطة في الجسم مصارعا يتبعه حين يمشي عدد من التواقين الى الشجاعة والمراجل، ولكي يقال عنهم ويشتهرون بأنهم من جماعة موسى أبو طبرة سواء كانوا من المسلمين أو اليهود، وكانت منطقة نفوذهم جانب الرصافة من حدود محلة الفضل الى باب الشيخ، وكان موسى من هواة سباق الخيل وقد حصل خلاف بينه وبين أحد الهواة الآخرين من الأشقياء المحترفين في سباق الخيل وهو أحمد الشنان، وهذا الخلاف هو أمر اعتيادي بين أصحاب خيول السباق وأدى هذا الخلاف الى مصرع موسى أبو طبرة على يد شقي من جانب الكرخ اسمه جواد الأجل□، حين كانا يتعاطيان الشراب في أحد البارات في محلة المربعة وافتعل جواد مشاجرة مع موسى فطعنه بالسكين في رقبته طعنة قاتلة، وكان لهذا القتل وقع سيئ لان القتيل من عائلة كريمة محترمة وحكم على القاتل بالسجن.

ومن الأشقياء القتلة المحترفين أيضاً محمد الأعور وقد قتل في مقبرة الغزالي حين كان يتربص في قتل أحد الأشخاص، ومن الأشقياء، كذلك عبد الأمير الأسود من محلة الشيخ بشار بالكرخ، ولكن اسمه قد اختفى فجأة ولم يعثر له على أثر ولا يعرف ان كان قد قتل أو هرب الى إيران وانقطعت أخباره بعد ان لمعت فجأة أضواء شقاوته في سماء عالم الإجرام واختفت فجأة.

ومن الأشقياء كزكه الفويلي من محلة الصدرية، كان الوحيد في بغداد الذي قيل مبالغة انه يحمل في سبابات عاشورا مشعلاً يحتوي على مئة فانوس وفانوس من محلة الصدرية الى محلة التسابيل، ويقف ويبرمه عدة مرات ولطول المشعل وثقله كان يسنده اثنان من أقوياء البدن لمنعه من السقوط حين إنزاله الى الأرض لتجديد الوقود في الفوانيس، وفي الحقيقة لا يوجد مشعل يحتوي على مئة فانوس وفانوس لان ذلك يعني ان الخشبة التي يتكون منها المشعل يزيد طولها على ستين متراً وهذا غير ممكن، وعلى الأكثر فان أكبر مشعل لا يحتوي على أكثر من واحد وأربعين فانوساً بحساب المسافات بين كل فانوس وفانوس، وقد رأيت ذلك بعيني وتحققت منه حين ذهبت سنتين متتاليتين الى محلة الصدرية والتسابيل، لأرى كزكه ومشعله الطويل الذي كان شائعة وليس حقيقياً بل هو نوع من المبالغة عند الناس.

ولابد من ذكر الأشقياء الذين كانت بغداد تتحدث عنهم ولو ان أعمالهم لم تكن داخل مدينة بغداد بل بضواحيها والمدن القريبة منها وأشهرهم هو إبراهيم عبدكة ويسمى ابن عبدكة فقط، وهو من الأكراد الفيلية كان مطلوبا بجرائم قتل في زمن العثمانيين وفر منهم الى خارج بغداد وأصبح (كرفت) أي هارب من وجه العدالة، وفي الاحتلال البريطاني والحكم الإنكليزي جدد نشاطه بين بغداد وديالى واتخذ من القتل والسلب وسيلة للعيش.

وفي أثناء محاصرة بعض البريطانيين وعوائلهم في لواء ديالى أقدم إبراهيم على حماية النساء البريطانيات وأوصلهن سالمات مكرمات الى بغداد وهذه العملية هي التي أنقذته من تنفيذ حكم الإعدام عليه الذي أصدرته عليه المحكمة الكبرى في بغداد، وكان يرأس المحكمة البريطاني المستمر بريجالد قبل ان يتسلم رئاسة محكمة التمييز، وقد أبدل حكم الإعدام الى السجن المؤبد وبعد مدة خرج من السجن وصار حارساً في الآثار القديمة خارج بغداد.

وهناك شقيقان مشهوران كانا حديث الناس في بغداد زمناً طويلاً ولم يزل يضرب المثل بأحدهما حتى الآن وهما كامل البطيخ ومحمود محمد الأحمد، اما كامل البطيخ فهو من عشيرة شمر طوكة من المجايلة الذين يسكنون مقاطعة الشاعورة الملاصقة لمقاطعة الدبوني في ناحية العزيزية وإنه من رؤساء العشيرة، وكان جده بطيخ رئيساً للمجالية وكان طاغية وامتد نفوذه الى إيران من جهة بدرة.

وان المثل (ولاية بطيخ) المشهور جاء نتيجة تصرفات بطيخ اللا معقولة التي لم تكن تخضع لأصول او قواعد، بل كان المزاج اليومي الكيفي لبطيخ هو الذي يدير حياته.

وقد ارتكب كامل في شبابه جريمة قتل وطلب الى العدالة وفر هارباً يقطع الطريق سلباً وقتلاً بين بغداد والكوت هو مساعدوه إيدان المنصور وتمكنت قوات الأمن بعد جهد من القبض عليه ثم إعدامه والحكم بالحبس على مساعده إيدام حيث انصرف الى الزراعة بعد انتهاء محكوميته وتوفى في الخمسينيات ولم يزل آل بطيخ يسكنون مقاطعة الشاعورة في العزيزية.

انا الشقي الآخر فهو محمود محمد الأحمد الذي قتل كاظم ابن الحجي ناجي صاحب المس بل المشهورة سكرتيرة المندوب البريطاني ومالك البساتين في الجادرية وهرب محمود وظل يقطع الطريق متخذاً من السلب والقتل وسيلة للعيش الى ان قتل في الطريق المؤدي الى قضاء الحي بعد ان تعاونت العشائر مع الشرطة في عمل الكمين اللازم له للتخلص من شروره.

ونحن نذكر الأشقياء لابد من التطرق الى أشقياء اليهود وكان هناك طبقة من أشقياء اليهود المعاركين وليس القتلة وأكثرهم يحوم حول الاشقائية المسلمين للتظاهر بانه من مريديه وان الشقي المسلم هو عرابه، وكانوا أكثر ما يلتقون حول المرحوم موسى أبو طبرة وأنهم مطمئنون ان موسى ليس بقاتل وان لا خوف من الانتماء اليه بل يزيده قوة على قوة.

ولابد من ذكر الاشقيائية من النساء الفنانات طبعاً لانه لا توجد امراة محترمة مخدرة تتعاطى اعمال الشقاوة وعلى رأس الفنانات الاشقياء صبيحة كسرى أم أكرم التي اتهمت يوماً بقتل إحدى العاملات عندها في أوتيلها المقابل لشارع باب الشيخ وأودعت في السجن عدة أشهر لانها رمت العاملة عندها من السطح الى أرض الاوتيل، وبعد الاستئناف برئت ساحتها وقد سكنت بعدئذ وتزوجت واستكانت محترمة في بيتها حتى توفيت.

وهناك اثنتان من الاشقيائية النساء هما خديجة بيدي وقد جرحت أحد أصدقائها بطعنة بالسكين لخلافها معه ولم تكن تمشي من دون ان تحمل سكيناً، والأخرى أم فوزية جيجان وكانت تسمى فطومة أم خنجر لانها لم تكن تمشي من دون ان تعلق الخنجر في حزامها وتهدد به من يعترض طريقها وعلى عينك يا تاجر.

عن بغداد في العشرينيات لعباس بغدادي

احداث عراقية

١٩٣٠

× وصول السير «فرنسيس همفريز» المعتمد السامي البريطاني في العراق الى بغداد يوم ١٠ كانون الثاني .

× استقالة وزارة ناجي السويدي ، يوم ٩ آذار .

× تشكيل نوري السعيد الوزاره يوم ٢٣ آذار .

× توقيع معاهدة بين العراق والولايات المتحدة الامريكيه وبريطانيا والعراق تتعلق بالشؤون الدينيه والثقافيه والخيريه .

× غلق «جامعة اهل البيت» في الاعظميه والاستعاضة عنها بالكلية الاعظميه وذلك في ٢٤ نيسان .

× تعيين محمود صبحي الدفتري امينا للعاصمه في ٩ نيسان .

× حدوث زلزال في بغداد على نصف دائرة بقطر ١٥٠ كم احدثت بعض الاضرار في المباني والدور .

× اجتماع الملك فيصل والملك عبدالعزيز السعود في الخليج العربي على ظهر باخره «لوين» في ٩ شباط وحسما معا المسائل المتنازع عليها .

× تاسيس «جمعية الهداية الاسلاميه» يوم (١ شعبان ١٠ كانون الثاني) .

× صدور «مجلة الصنائع» التي اصدرها المناضل النقابي المعروف محمد صالح القزاز رئيس جمعية الصنائع في شهر حزيران .

× قرار مجلس الوزراء الغاء وزارة الري والزراعه وادماج ملحقاتها بوزارة الاشغال والمواصلات على ان يستبدل عنوان هذه الاخيرة باسم «وزارة الاقتصاد والمواصلات» وذلك في ٦ تشرين الثاني .

× اعلان عمال السكك الاضراب عن العمل بسبب قرار الادارة تقليص الاجر اليومي .

× تاسيس «حزب العهد العراقي» بايعاز من نوري السعيد وذلك في ١٤ تشرين الاول لتائييد معاهدة ٣٠ تموز ١٩٣٠ وهو حزب حكومي صرف .

× اتخاذ مبنى «جامعة آل البيت» في الاعظميه مقرا للبرلمان العراقي في تشرين الثاني .

× التوقيع على المعاهدة العراقيه البريطانيه يوم ٣٠ حزيران .

× صدور بيان رسمي بالاعتراف باستقلال العراق والغاء الاتفاقيات والمعاهدات بين العراق وبريطانيا وجلاء جميع القوات البريطانيه وغيرها من الاراضي العراقيه .

× زيارة الممثلة «فاطمه رشدي» وزوجها «عزيز عيد» والممثل «عباس فارس» بغداد

× تاسيس «الفرقة الشرقيه للتمثيل» برئاسة صبري شكوري .

× تاليف «حزب الاخاء الوطني» وكان حزبا معارضا ومن اعضائة الهاشمي والكيلاني يوم ٢٥ تشرين الثاني . صدور «قانون التقاعد المدني «رقم ١٢ و»انون اتفاقية الافيون» رقم ٣٩

× صدور الجرائد (الجهاد ، صدى العهد ، الاجتماع ، بغداد ، والتجديد) .

× صدور المجلات (الرصافي ، الوميض ، الحوادث والهداية)

رستم حيدر ودوره في تأسيس الحكم الملكي في العراق

ذاكرة عراقية
د. محمد حسين الزبيدي

ينتمي رستم حيدر الى اسرة (ال حيدر) وهي اسرة معروفة تحضى باحترام اهل بعلبك عرفت بوطنيتها ونضالها ضد الاحتلال الفرنسي وتنتسب اسرة ال حيدر الى قبيلة (بني اسد) العربية التي سكنت بلاد الشام وكانت هذه القبيلة تعيش في العراق وفي منطقة كربلاء بالذات وكانت عوناً للامام الحسين وبعد مقتله جار عليها ولاة العراق فهاجرت من العراق الى بلاد الشام وعاشت في جبالها في منطقة جبال عامل ولد رستم حيدر سنة ١٨٨٩ في بعلبك وقد درس في المدرسة الرشيدية ولما تخرج فيها دخل مدرسة (عنبر) في دمشق وحصل على الشهادة التي تخوله دخول (المدرسة الملكية الشاهانية) في استانبول حيث تدرس فيها العلوم السياسية والإدارية ويعين المتخرج فيها في الوظائف الإدارية وفيها تخرج عدد كبير من رجالات تركيا الدبلوماسيين والإداريين. وفي اسطنبول تعرف رستم حيدر على شخصين كان لهما الاثر الكبير في حياته هما: عوني عبد الهادي وهو فلسطيني من نابلس كان يدرس الحقوق واحمد قدوري سوري الاصل من دمشق كان يدرس الطب وكانت بداية صداقة طويلة ورفقة في العمل السياسي والقومي استمرتا حتى نهاية حياتهم. في هذه الفترة التي كان رستم حيدر يدرس فيها في اسطنبول حدثت تطورات سياسية ودستورية كبيرة حيث تولى (حزب الاتحاد والترقي) مقاليد الحكم في الدولة العثمانية واعلن الدستور العثماني في سنة ١٩٠٨ وبدأ عهداً جديداً في عهد المشروطية.

تخرج رستم حيدر في المدرسة الملكية الشاهانية في سنة ١٩١٠ فذهب الى فرنسا في بعثة علمية لاكمال دراسته العليا في باريس وسافر بصحبة زميله العربي الاخر هو رفيق التميمي وهو فلسطيني من نابلس ولحق بهما عبد الهادي واحمد قدوري لاكمال دراستهما أيضاً الأول في الحقوق والثاني في الطب. وصار رستم حيدر يأخذ الدروس المالية والسياسية في مدرسة العلوم السياسية ودروس التاريخ في السوربون.

وقد تعرف رستم حيدر على عدد من الطلاب العرب وعقد معهم صداقات وطيدة وقد كون معهم جمعية عربية باسم (جمعية التهذيبات العربية وشارك في نشاطها بشكل فعال إضافة الى جمعية (العربية الفتاة) التي تشكلت في اسطنبول. جمعية العربية الفتاة عاش العرب في اسطنبول في ظل الرابطة الإسلامية متساوون في دولة واحدة يجمعهم الولاء للخلافة ولما تولى حزب الاتحاد والترقي الحكم اخذ الاتحاديون يتجهون الى فكرة التمييز بين العنصر التركي وغيره بعد ان كان يجمعهم الولاء لتلك الرابطة الاسلامية وبذلك تغيرت الدولة من كيان إسلامي ذي قوميات متعددة متساوية في الحقوق والواجبات الى كيان عنصري وبذلك بدأ اضطهاد العرب والقوميات الاخرى ومحاولة تتريك هذه القوميات وتحويلها الى اتراك فتنادى الشباب العربي في تركيا الى الوقوف بوجه هذه الحملة العنصرية الظالمة منهم رستم حيدر فكون مع احمد قدوري وعارف الشهابي جمعية عربية سميت (الجمعية العربية الفتاة) واتخذت شعاراً لها (العمل بالنهوض بالأمة العربية الى مصاف الأمم الحية واغتنام هذه الفرص لتحقيق هذه الأمنية وعدم الانفصال عن الترك) الا ان هذه الشعار تبدل بعد اعلان الحرب الى العمل من اجل استقلال البلاد العربية وتحريرها من السيطرة العثمانية. وقد انضم اليها إضافة الى الثلاث الأول كل من رفيق التميمي ومحمد المحمصاني وعبد الغني العريسي وصبري الخوجة وتوفيق الناطور ومن هؤلاء تكونت اول هيئة إدارية لها في باريس سنة ١٩١١ وقد انضم عدد اخر من سورية الطبيعية وقد انتقل مركز الجمعية الى سورية بعد عودة مؤسسيها الى بلادهم سنة ١٩١٣ واتخذت من بيروت مقراً رئيسا لها وتولى الدكتور احمد قدوري فرعها في دمشق فاتسع نفوذها وكثر اعضائها ولاسيما بعدقيام الحرب العالمية الأولى ثم انتقل مقرها الى دمشق لأسباب أمنية وقد التجأ اليها بعد قيام الحرب الامير فيصل بن الحسين في الدولة العثمانية واعلن الدستور العثماني في سنة ١٩٠٨ وبدأ عهداً جديداً في عهد المشروطية.

وعلي رضا الركابي وياسين الهاشمي وعدد اخر كثير من العرب وقد عمل جميع اعضائها بكل اخلاص وتفاني، وقد شنق جمال باشا (السفاح) من اعضائها كوكبة خيرة هم: عبد الغني العريسي ومحمد المحمصاني وسيف الدين الخطيب ورفيق رزق سلوم وتوفيق البساط وعارف الشهابي وعمر حمد وصالح حيدر. وقد عملت جمعية العربية الفتاة في كثير من الحركات السياسية ومنها الثورة العربية الكبرى والاعمال الاخرى التي تهدف الى نهضة الامة العربية وقام رستم حيدر وزملائه بالاتصال بالحركات القومية والأحزاب العربية والوطنيين في البلاد العربية والعواصم الأوروبية والمهاجرين في أمريكا وكانوا بلا شك من رواد (الفكرة العربية) الاوائل عاد رستم حيدر الى وطنه بعد ان اكمل دراسته سنة ١٩١٢ بعد ان قدم أطروحته باللغة الفرنسية موضوعها (محمد علي باشا الكبير في سوريا) وعين مديراً للمدرسة السلطانية في خربوط، كان رجال الدولة العثمانية في ذلك الوقت يحاولون استرضاء العرب بتحقيق بعض مطالبهم فقامت في سورية بعد الحرب البلقانية حركة اصلاحية كان من جملة اعمالها إنشاء مدرسة (سلطانية) في دمشق باسم (مدرسة التجهيز العربية) تدرس فيها العلوم باللغة العربية وقد اختير رستم حيدر مديرا لهذه المدرسة لانه كان من الشبان العرب القلائل الذين درسوا في اوربا دراسة عالية فاظهر في عمله كفاءة عالية وكان في الوقت نفسه يعمل مع اخوانه في سورية الداخلية والساحلية على تنفيذ برنامج الجمعية الكبير الذي كتبوه ورسموه على مقاعد الدراسة في اسطنبول وباريس للنهوض بالامة العربية وتحقيق اهدافها في الحرية والاستقلال وفتحوا فروعا للجمعية في سورية ولبنان وفلسطين وقوي اتصالها بالجمعيات الاستقلالية العربية الاخرى بالشام والعراق ومصر. الا ان قيام الحرب العالمية الأولى وتجنيد المعلمين والطلاب حال دون مواصلة التدريس في مدرسة التجهيز في دمشق ما ادى الى غلق المعهد. وفي اواخر سنة ١٩١٤ صدرت أوامر من الاستانة بنفي اسرة حيدر من بعلبك لموقفهم المعادي من الاتحاديين وتخوف الحكومة من نفوذهم واستثني رستم حيدر من ذلك النفي بسبب دراسته العالية ومؤهلاته التي كانت نادرة بين السوريين في ذلك الوقت ولرغبة السلطات العثمانية في الاستعانة بخدماته. وقد اتجه الاتحاديون في اثناء الحرب العظمى على جذب قلوب المسلمين نحوهم والحصول على اكبر تأييد بهم فحاولوا استغلال الشعور الديني على الرغم من سياستهم العنصرية فأعلنوا الجهاد المقدس على دول الحلفاء واخذو يبثون الدعاية الإسلامية بقصد استمالة العالم الإسلامي اليهم، وكان والي سورية جمال باشا يسير على سياسة التفاهم في أول الأمر تلك السياسة التي رسمها اقطاب الاتحاديين مع ممثلي العرب وفي سبيل ذلك اسس جمال باشا مدرسة دينية في القدس لتخرج أشخاصاً لهم القدرة على بث الروح الإسلامية بين الناس وتقوية الشعور الديني ترسيخا لاركان الدولة العثمانية وقد اسماها (الكلية الصلاحية) وجعلها مرتبطة بمقام شيخ الإسلام وبوزارة الأوقاف فأصبحت اشبه بكلية عصرية تدرس فيها العلوم الدينية واللغات يتخرج فيها علماء في الشريعة الاسلامية وخطباء في الجوامع وقضاة في المحاكم الشرعية، وقد عين لها مجموعة من الاساتذة والموظفين كان بينهم رستم حيدر، ثم عين بعدها مدير لهذه المدرسة لما اظهره في الكلية من المقدرة والكفاءة والذكاء على الرغم من انه كان من اسرة حيدر التي كان الاتحاديون يتوجسون منها الخيفة وكان رستم حيدر الى جانب ادارته للمعهد يلقى دروسا في التاريخ وقد بقى رستم مديرا للكلية الصلاحية حتى سنة ١٩١٧. الالتحاق بالثورة العربية: في سنة ١٩١٧ اصبح القدس مهددا بالسقوط بيد الانكليز فغادره وعاد الى دمشق وقضى فيها اسابيع كان خلالها على اتصال بأعضاء الجمعية الموجودين هناك وقدر مع عدد من زملائه الالتحاق بالامير فيصل بالحجاز. كان الامير فيصل قد وصل من الحجاز الى (ابي اللسن) على راس الجيش الشمالي واحتل مرتفعات (سمنة) التي تشرف على (معان) بعد ان خرب رجاله كثيرا من محطات سكة حديد الحجاز وبذلك اصبح الاتصال بين سورية والامير فيصل اسهل من ذي قبل وفي تلك الاثناء نقلت القطعة التي يقودها ياسين الهاشمي الى جبهة فلسطين قرب عمان فتم الاتصال به بوساطة الملازم سليم عبد الرحمن

فيصل الاول

لاستشارته فيما يمكن عمله.

بدأت الاستعدادات لتهيئة الحملة للالتحاق بمقر الامير فيصل على طريق الصحراء وعبر جبل الدروز وكان في الحملة الدكتور احمد قدري وأخوه تحسين قدري الذي كان ضابطا في جبهة فلسطين فعاد الى دمشق متنكرا وكان رستم حيدر احد اعضائها وفي ١٠ اب ١٩١٨ قصدوا متفرقين بستان (اليونسية) احد بساتين جرمانا بغوطه دمشق وتجمعوا وغيروا زيهم وغادروا تحت جنح الظلام متجهين الى قرية (خلخلة). وعلى الرغم من إحاطة امر الحملة بالتكتم الشديد الا ان امرها قد وصل الى السلطات العسكرية في دمشق فجدت في طلبهم ووضعت جائزة قدرها خمسة مئة ليرة ذهبية لكل من ياتي براس واحد منهم حيا او ميتا الا ان الحملة نجت من ملاحقة السلطة وتوغلوا في الصحراء على ظهور الابل مارين بجبل الدروز حيث حلوا ضيوفا على سلطان بك الاطرش اياما، وواصلت الحملة سيرها بعد ذلك حتى وصلت مقدمة الجيش العربي بعد الاهوال والمصاعب التي لاقوها في عبورهم الصحراء وكانت مخيمة في (وهيدة) مقابل عمان في ٣٠ اب بعد حل وترحال استمر عشرين يوما شهد اعضاء الحملة خلالها عناء عظيما ومشقات بالغة وقد استقبلهم قائد المفرزة الشمالية علي جودت الايوبي وبعد استراحة قصيرة ارسلهم الى مقر الامير فيصل في (سمنة). الدخول الى دمشق: واصلت قوات الجيش الشمالي الذي يقوده الامير فيصل مسيرها نحو الشمال باتجاه مدينة دمشق فدخلها في ٢٣ تشرين الأول ١٩١٨. وعلى اثر دخول فيصل الى دمشق عين امير اللواء علي رضا باشا الركابي حاكما عسكريا لسورية وأوفد أمير اللواء شكري باشا الأيوبي ورستم حيدر الى بيروت لإعلان قيام الحكومة العربية فيها بناء على طلب اهلها فوصلا بيروت يوم ٦ تشرين الثاني ١٩١٨ وتم إعلان انضمام لبنان الى الحكومة العربية في دمشق وعين حبيب باشا السعد حاكما مدنيا كما اعلن ذلك في المدن الاخرى ففي صيدا الف الأهالي إدارة عربية مؤقتة ورفعوا علم الثورة العربية وحدث الامر نفسه في اللاذقية وطرابلس وصور وبقية المدن الساحلية. ولكن هذا الامر ازعج السلطات الفرنسية التي كانت متمسكة ببنود معاهدة سايكس- بيكو وعليه فقد احتجت على هذا الإجراء وأيدت بريطانيا موقف حليفتها فرنسا فاصدر الجنرال اللنبي امرا بتعين الكولونيل الفرنسي بياباب حاكما عسكريا للمنطقة، وفي الوقت نفسه اغضب تصرف الوطنيين فرنسا فعينت الجنرال غورو قائدا عاما للقوات الفرنسية في بلاد الشام فأرسل غورو إنذاراً الى الملك فيصل ان يغادر سورية او يخضع لشروط ثقيلة وضعها له وقد حدد غورو ستة ايام مهلة للاجابة على الإنذار وشروطه وقد اغضبت شروط غورو وإنذاره الوطنيين فقرروا رفض الإنذار ومقاومة الفرنسيين ومحاربتهم فجمعوا عددا كبيرا من المتطوعين وقادهم وزير الدفاع يوسف العظمة والتقى الجيشان عند مكان يدعى ميسلون وجرت معركة قاسية بين الجيشين انتهت بانتصار الفرنسيين واستشهاد يوسف العظمة عندها قرر الملك فيصل مغادرة دمشق فخرج منها ليلا متوجها الى الحجاز ومعه عدد من مساعديه منهم رستم حيدر.

رستم حيدر

رستم حيدر في العراق

وصل رستم حيدر الى العراق يوم٢٣ حزيران١٩٢١على الباخرة نورث بروك التي كانت تقل الامير فيصل من الحجاز

وكان رستم حيدر سكرتيره الخاص ووصل معهما أيضاً المستر كورنواليس الذي عين بعد تتويج فيصل مستشاراً خاصاً له ثم مستشاراً لوزارة الداخلية وعمل في العراق لمدة خمسة عشر عاماً وكان ير افق فيصلاً أيضاً عددا من الزعماء الهاربين منهم السيد محمد الصدر وكانت هذه المرة الأولى التي يطأ فيها رستم حيدر ارض البلد الذي قدر له ان يعمل فيه ويصبح من مواطنيه ويتسلم فيه اعلى المناصب ثم يلقى حتفه مقتولاً بين احد أبنائه ويدفن في ثراه بعد ذلك بعشر ين عاماً.

وبقي رستم حيدر سكرتيراً خاصاً لفيصل بعد تتويجه ملكا كما عين فهمي المدرس كبيرا للأمناء ولكنه عزل بعد سنة واحدة على اثر الحادث المعروف التي هتف فيه المتظاهرون المتجمهرون امام القصر الملكي بسقوط الانتداب. وقضي رستم حيدر في منصبه الخطير الحساس تسع سنوا ت كان خلالها اقرب مستشاري فيصل اليه وأكثرهم تمتعا بثقته وكاتب خطبه وتصريحاته وكاتم اسراره فكان بهذه الصفة من اقوى موجهي سياسة الدولة العراقية الفتية.

ويروا ان احد اقطاب المعارضة سأل الملك فيصل الأول كيف تسنى له ان يقف على كل صغيرة وكبيرة من سلوك السياسيين في البلد كما يبدو من احاديثه مع نخبتهم فأجاب الملك: ان واجب الراعي هو ان يسهر على الماشية واذا فاتني شيء فعندي حيدر فما شعرت انه اغفل امرا مما يضطرم في تيار السياسة ولا توانى لحظة في اطلاعي عليه.

ويظهر مدى النفوذ الذي كان رستم حيدر يتمتع به من عبارة قالها الملك فيصل الأول في احد الايام للسفير البريطاني في مقابلة خاصة بينهما جرت في ١٧ اذار ١٩٣٣ كانا يبحثان خلالها الوضع السياسي في العراق ونقل السفير ما دار فيها بتقرير بعث به الى وزارة الخارجية.

رستم حيدر وزيراً

الف نوري السعيد وزارته الأولى في ٢٣ اذار ١٩٣٠ وكان وزير المالية في تلك الوزارة هو علي جودت الايوبي وعلى الرغم من ان علي جودت كان صديقا شخصيا قديما لنوري السعيد ور فيق سلاح له في الثورة العربية فانه مالبث ان استقال من منصبه احتجاجاً على توقيع رئيس الوزراء على الاتفاقية المالية مع الحكومة البريطانية في لندن فتولى وزارة المالية بالوكالة وزير العدلية جمال بابان ثم جميل المدفعي.

وكان الملك فيصل الأول قد بدأ يشعر ان رستم قضى في رئاسة الديوان الملكي مدة طويلة جداً فاقترح ان تعهد اليه وزارة المالية وذلك تدعيماً للوزارة بعنصر تتوافر فيه الناحية العلمية والكفاية الشخصية ويكون في الوقت نفسه موضع ثقته التامة ومن جهة اخرى كان الملك فيصل يرى ان نوري السعيد قد اصبح اقوى مما ينبغي وانه اذا اطلق له العنان قد يتحكم في الامور ويميل الى الطغيان فادخل رستم حيدر في الوزارة وهو يده اليمنى وعينه الساهرة ليحد بشخصيته القوية وكفاءته العالية من طغيان نوري.

وهكذا اصبح رستم حيدر وزيراً للمرة الأولى في اول تشرين الأول ١٩٣٠ في وزارة نوري السعيد الأولى وكانت وزارة المالية التي تولاها شاغرة منذ استقالة علي جودت في ٣٠ حزيران من السنة نفسها وتدار بالوكالة.

وخلال السنوات العشر التالية وحتى مقتله في كانون ا لاول سنة ١٩٤٠ اشترك رستم حيدر وزيراً في سبع وزارات وكان في اربع منها في وزارات ترأسها نوري السعيد واثنتين ترأسهما رشيد عالي الكيلاني ووحدة برئاسة جميل المدفعي.

وعلى الرغم من عدد المرات التي تسلم فيها رستم حيدر منصب الوزارة في العراق فأن المدة التي قضاها وزير الم تزد في مجموعها عن اربع سنوات تقريباً وذلك بسبب قصر اعمار الوزارات في العهد الملكي.

كان رستم حيدر يضطلع بأعباء الوزارة في كل مرة بجدارة وتوافر عظيمين ولم يكن هنالك ما يؤخذ على كفاءته ولا شائبة تشوب نزاهته.

ومع ذلك فانه تعرض لكثير من الهجمات من جانب خصومه او خصوم الوزارات التي اشترك فيها ولم يسلم من التحامل والطعن في اخلاصه وذلك امرلم يسلم منه سياسي تسلم مناصب رفيعة وخاصة في الشرق. .

ففي المرة الأولى التي اصبح فيها رستم حيدر وزيراً للمالية وهي وزارة نوري السعيد الأولى كانت المعارضة تلتمس اية وسيلة للهجوم على تلك الوزارة التي ابرمت معاهدة سنة ١٩٣٠ مع بريطانيا وكان اشتراك رستم حيدر فيها فرصة ذهبية وان كان قد دخلها بعد التوقيع على المعاهدة واستقالة وزير المالية علي جودت وكانت ذريعتها في هجماتها كونه سوري الاصل.

ولما دافعت بعض الصحف الحكومية عن استيزار رستم حيدر ونشرت مقالات في الرد على كلمة صدى الاستقلال نشرت هذه الجريدة مقالة شديدة بقلم المحامي علي محمود الشيخ علي مدير تحرير الجريدة بعنوان تملق لا اثر للكر امة فيه توسع بها فيما سبق ان كتبته الجريدة عن استيزار رستم حيدر قائلا:

لم ترحب هذه الجريدة بتوزير رستم بك حيدر رئيس الديوان الملكي لانها رأت في توزيره ضرراً بليغاً في الوحدة العربية التي ينشدها ابناء القطرين الشقيقين العراق وسوريا ذلك لانه تقلد منصباً يعرض صاحبه للنقد السياسي ولربما يفسر النقد الذي سيوجه ضده الى غير قصده الحقيقي في سوريا فيكون هذا التفسير معولاً لهدم فكرة الوحدة العربية التي بدأت ثمارها تينع في البلدين.

ولم يكن لهذه الحملات اثر كبير في اضعاف مكانة رستم حيدر سوى مالابد ان كانت تسببه له من الم نفسي فقد كان الملك وراءه وكانت كفاءته العالية و ثقافته التي كانت نادرة بين زملائه العراقيين في ذلك الو قت ونزاهته واستقامته تجعله في موقف صلب منيع بدليل انه اشترك في ست وزارات اخرى خلال العشر السنوات التالية كما انه شغل منصب رئيس الوزراء بالوكالة مرتين خلال غياب نوري السعيد عن العراق ومع ذلك فأن رستم حيدر خلال عمله في العراق مدة عشرين عاماً تقريباً .

عانى من نقطتي ضعف في شخصيته التي كانت مستكملة صفات رجل الدولة من نزاهة وكفاءة وخبرة وذكاء واخلاص الأولى اصله السوري والثانية اتهامه بالطائفية.

وقطع النقد الوطني عملة رسمية للعراق اعتباراً من اول نيسان ١٩٣٢ ان رستم حيدر هو الذي وضع هذا المشروع ودافع عنه في البرلمان وقد اسس المشروع بعض رجال السياسة وكان من يعارضه لمجرد ان صاحبه رستم حيدر.

مشروع الغراف والخلاف عليه

كان مشروع الغراف من اهم المشروعات التي حاولت الحكومات المتعاقبة على الحكم في العراق تحقيقه كما انه من اهم الاعمال التي تبناها رستم حيدر فكان لهذا المشروع اثر حاسم في حياته السياسية وعلاقاته بنوري السعيد

والغراف نهر قديم احدثت فيه الفيضانات المتعاقبة ترسبات ادت الى ارتفاع قعره وانخفاض مياهه وجفاف معظم الأراضي الزراعية التي كان يرويها مماحمل معظم القبائل التي استوطنت ضفتيه على الهجرة ولذلك ظهرت فكرة اقامة ناظم على صدره وبناء سد امام فتحة لتأمين جريان المياه فيه صيفاً وشتاءا واحياء الاراضي المحيطة به والافادة منها.

وقد تم التفاهم على تنفيذ هذا المشروع قبل تأليف وزارة جميل المدفعي الأولى في ٩ تشرين الثاني ١٩٣٣ وعندما تألفت هذه الوزارة انيط منصب وزير الاقتصاد والمواصلات برستم حيدر ليضطلع بتنفيذه وحينما وضع المشروع في المناقصة الدولية احتج وزيرالمالية نصرت الفارسي لانه كان يرى من الواجب الاتصال به قبل الاعلان للتأكيد من وجود التخصيصات التي يتطلبها المشروع كما ذهب أيضاً الى ان تسليح الجيش العراقي اهم من مشروع الغراف بنظره وايده في هذا الرأي وزير الداخلية ناجي شوكت.

ويقول ناجي شوكت في مذكراته: ان وزير المالية فوجئ بالاعلان الذي نشرته الصحف المحلية عن مناقصة المشروع وان ذلك قد تم قبل التأكد من وجود الاعتمادات اللازمة في الخزينة ودون الحصول على موافقة وزيرالمالية مسبقا فلما عرض الخلاف على المجلس طلبت الكلام وايدت وزير المالية واعترضت على المشروع من حيث الاساس موضحاً انه لايجوز الشروع بأي عمل على دجلة في جنوبي بغداد مالم يوضع مشروع متكامل للسدود التي يجب ان تقوم على هذا النهر الكبير ابتداء من شمال العاصمة لوقاية بغداد من الغرق الذي تتعرض له في كل سنة او سنتين.

وقد رد علي رستم حيدر وزير الاقتصاد والمواصلات مذكراً اياي بقول يؤثر عن الملك فيصل اذ قال في احدى خطبه لامشروع قبل الغراف

فأجبته اني لاظن ان الملك فيصل قال مثل هذا القول ولنفترض انه قاله لسبب او باعتبار زمني فأن اقوال الملوك لاترتفع في قدسيتها الى نصوص القران او الاحاديث النبوية ان هذا المشروع الجبار سوف لا يحقق الا اهدافاً اقطاعية ينتفع منها اربعة اشخاص او خمسة.

والواقع ان الخلاف بشان هذا المشروع كان يتعلق بمصالح عدد من الشيوخ والاقطاعيين في المناطق الجنوبية ممن كانوا سينتفعون بالمشروع في الوقت الذي تفتقر فيه البلاد الى مشروعات اخرى اهم منها واشمل نفعاً وقد اتخذ الخلاف أيضاً ابعاداً طائفية مؤسفة.

وعلى اثر هذا الانشقاق في الوزارة قدم رئيس الوزراء جميل المدفعي استقالته في شباط ١٩٣٤ فحاول الملك غازي ان يوفق بين اراء المتخاصمين ولكنه لم ينجح في ذلك فأضطر الملك الى قبول استقالة المدفعي ولكنه لم ينجح بتأليف الوزارة مرة اخرى وقد ارتاى المدفعي ان يحل ناجي السويدي وهو رئيس وزراء سابق محل رستم حيدر في الوزارة الجديدة ولكن السويدي اشترط على المدفعي ان يستبعد من وزارته جميع الوزراء الذين كانوا طرفاً في الازمة لكي لايتهم بان غرضه من الاستقالة كان التخلص من رستم حيدر فقط فأقتنع المدفعي بهذا الرأي وتخلى عن وزرائه السابقين كافة بأستثناء جمال بابان وزير العدلية.

وهنا بدات فترة من العلاقات السيئة بين نوري السعيد ورستم حيدر ولعلها كانت المرة الأولى التي يختلف فيها الرجلان او تقوم بينهما خصومة قوية وفي وثائق وزارة الطيران البريطانية برقية كتبها ضباط استخبارات القوة الجوية البريطانية في بغداد حول هذه الازمة الوزارية جاء فيها:.

ان الخلافات التي نشبت في الوزارة السابقة اخذت الان شكلاً خط رأ..

نوري باشا هاجم رستم حيدر بصورة مستمرة وخاصة في جريدة العقاب بواسطة صاحبها يونس بحري الذي هو صنيعته. السيد محمد الصدر الرئيس الشيعي لمجلس الاعيان قابل الملك يوم ١٨ شباط واخبره انه اذا استمرت هجمات نور ي السعيد فأن الشيعة سيدعمون رستم وفي اليوم نفسه تلقى رستم زيارات من شخصيات شيعية بارزة عرضت عليه تاييدها وقد تقبل رستم ذلك ولكنه لم يشجعهم على القيام بأي عمل في الوقت الحاضر.

ان الامر الذي كان في بدايته غيرة شخصية تطور الى خصومة سياسية قد ينتهي بأن يصبح نزاعاً طائفياً.

حاول جميل المدفعي ادخال نور ي السعيد ورستم في وزارته الجديدة ولكن نوري السعيد رفض الدخول اذ ادخل فيها رستم.

وبقي رستم حيدر بعد استقالة هذه الوزارة بدون منصب رسمي حتى اواخر تشرين الثاني ١٩٣٤ حين عين رئيسا للديوان الملكي للمرة الثانية.

رستم حيدر والملك غازي

توفي الملك فيصل الأول في ١٨ ايلول ١٩٣٣ في العاصمة السويسرية برن وكان قد وصلها للمعالجة والاستجمام وعلى الرغم من ذلك فانه احتفظ بمركزه في البلاط الملكي والدولة بسبب ما حققه من مكانة محترمة بين رجالات البلد وعلاقته الوثيقة مع بعضها وقد جاء في مذكرات ساطع الحصري في العراق كان من سوء حظ الملك غازي ان رستم حيدر كان قد ترك رئاسة الديوان الملكي في اواخر عهد الملك فيصل وتولى وزارة المالية ثم وزارة الاقتصاد، ان وظيفة رئيس الديوان الملكي لا تؤثر في سير السياسة في الاحوال الاعتيادية غير انها تكتسب اهمية خاصة في بعض الاحوال ولاسيما عندما ينتقل الحكم فجأة الى ملك شاب لم يطلع بعد على خبايا السياسة ولم يختبر بعد رجال السياسة ونواياهم كان رستم حيدر قد بقي بدون منصب منذ استقالة وزارة جميل المدفعي بسبب الخلاف الذي نشأ بين اعضائها على مشروع الغراف فلما استقالت وزارة المدفعي الثانية في ٢٥ اب ١٩٣٤ عهد الملك غازي بتأليف الوزارة الى رئيس الديوان علي جودت الايوبي فالفها في ٢٧ اب وقد اشترك فيها نوري السعيد وزيرا للخارجية وجميل المدفعي

جميل المدفعي

نوري السعيد

احداث عراقية

١٩٣١

× وفاة ابراهيم عاصم الحيدري ، رئيس لجنة دار الخير العالي في استانبول ، ورئيس لجنة الشؤون الاسلاميه ، عاد الى بغداد وعين عضوا في المجلس التاسيسي ، ثم وزيرا للاوقاف عام ١٩٢٤ ثم عضوا في مجلس الاعيان وقد توفي ببغداد ودفن بمقبرة الكيلا ني في ٢ كانون الثاني .

× ابرام المعاهدة العراقيه . البريطانيه يوم ٢٦ كانون الثاني .

× التوقيع على معاهدة صداقة وحسن جوار بين العراق والمملكة العربيه السعوديه في ٧ نيسان .

× صدور قانون العملة العراقيه الرقم ٤٤ في ٢٢ ذي الحجه ١٩ نيسان على اصل الدينار .

× وصول اول رف لطيران الجيش العراقي قادما من لندن يقوده طيارون عراقيون في ٢٢ نيسان ، و استقبلهم الملك فيصل الاول في مطار الوشاش «المثنى لاحقا « وتم بذلك تاسيس القوة الجوية العراقيه ، وكان الرف بقيادة الطيار محمد علي جواد والذي يعتبر اول طيار عراقي .

× اقر البرلمان لائحة قانون رسوم البلديات المقدمه اليه من قبل الوزارة السعيديه الاولى ، يوم ١٠ مايس .

× الاضراب العام بسبب الرسوم البلديه وقد ابتدأ يوم ١٩ صفر ٥ تموز وشمل اضافة لبغداد كافة انحاء العراق وتحول من تظاهرة بيد الطبقة العامله الى سلاح سياسي بيد المعارضة .

× سفر الملك الى كل من تركيا واوربا في زيارة رسميه وذلك في ١٤ تموز .

× تاسيس المفوضية الامريكيه في بغداد .

× رفع درجة القنصليه الايطاليه في بغداد الى مفوضيه .

× تاسيس جمعية تشجيع المنتجات الوطنيه .

× صدور العدد الاول من مجلة «حبزبوز» لصاحبها نوري ثابت يوم ٢٩ ايلول وهي جريدة فكاهيه طبقت شهرتها الآفاق لاحقا.

× عودة الملك فيصل الاول الى بغداد يوم ٢٩ ايلول .

× تاسيس شعب المقر العام في «مديريه الشرطة العامه « لمساعدة مدير الشرطة العامه وادارة شؤون الدائره .

× عرض اول فيلم ناطق في سينما «الوطني» وهو «مغني الجاز» او مايعرف ب»ملك الموسيقى « . × استئناف البعثة الالمانيه التنقيب في اطلال المدائن ، استكمالا لما بداته في عام ١٩٢٨ بالاشتراك مع «متحف متروبولتين « في نيويورك .

× استقالة الوزارة السعيديه الاولى يوم ١٩ تشرين الاول وتاليف الوزاره السعيديه الثانيه في اليوم نفسه .

× التوقيع على الاتفاق المعدل المعقود مع شركة النفط العراقيه المحدوده في ٢٤ آذار.

× وضع شعار الدولة العراقيه بموجب قانون رقم ٢٥ .

× تاسيس قوة الشرطة السياره .

× تعيين «ارشد العمري» امينا للعاصمه في تشرين الثاني .

× صدور «ذيل قانون انضباط موظفي الدولة «والذي اشتهر باسم «قانون الذيل» و»قانون الكمارك « رقم ٥٦ «وقانون العلامات الفارقه « رقم ٣٩ و»قانون ادارة البلديات « رقم ٨٤ و»قانون رسوم البلديات « رقم ٨٦ و»قانون لجنة اسالة الماء « رقم ١٠٤ و»قانون المقاييس والمكاييل « رقم ٤٧ و»قانون العطلات الرسميه « رقم ٧٢ .

×صدور الجرائد : (الاخاء الوطني ، الاخبار ، الناس ، الجمهور ، حبزبوز، صدى العهد ، الرياض ، الثبات و السعاده) .

× صدور المجلات : (الاماني ، القيثاره ، السراط المستقيم ، المعرض ، المعرفه)

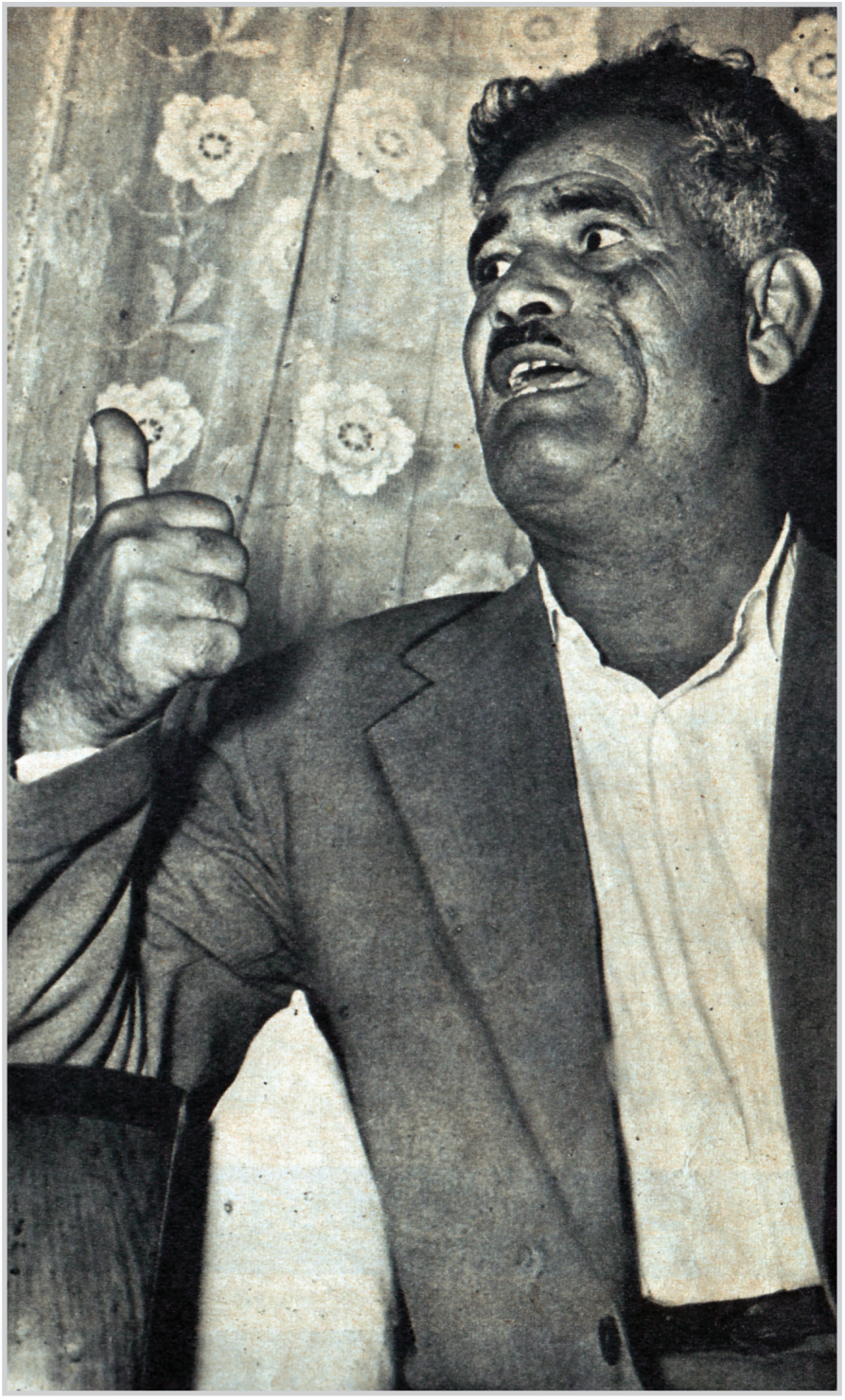

عبد اللطيف قاسم

حامد قاسم

شقيقا عبد الكريم قاسم فوجئا بالثورة..!

والد الزعيم عبد الكريم قاسم

* كان عبد الكريم يموه على شقيقه الأكبر قائلاً: نوري السعيد رئيس وزراء عظيم
* إذا غاب عن أسرته بعث يطلب الطعام ليشعرها بالمشاركة.. على البعد
* حاول عبد الكريم وهو صبي ان يتغلب على منافس أقوى منه.. بيد الهون!

سبق صحفي جديد يسجله (المصور) في العراق، فقد زار مندوبنا محمد رفعت بين الزعيم عبد الكريم قاسم وقابل شقيقيه اللذين يكبرانه في السن، واستمع منهما الى قصة الزعيم العراقي منذ كان طفلاً صغيراً حتى قاد ثورة تحرير بلاده.

كنا جالسين في غرفة الاستقبال المتواضعة في البيت البسيط الصغير الذي تعيش فيه أسرة بطل ثورة العراق، في حي كرادة مريم أحد أحياء بغداد.. البيت الذي اكتشفه (المصور) وواصل بزيارته سبقه الصحفي المتصل منذ قامت ثورة العراق.

كان أمامي حامد قاسم تاجر الحبوب في ملابس أبناء العراق العربية والى جانبه الشقيق الأوسط الذي يليه في العمر عبد اللطيف وهو نائب ضابط فني في القوة الجوية العراقية يرتدي ملابس إفرنجية، وبينهما فوق مائدة صغيرة إطار مزدوج يضم صورتي جمال عبد الناصر وعبد الكريم قاسم، حيث قال الأكبر: ان جمال يشرفنا هنا من زمان منذ بدأت ثورتكم، وهذا الراديو الذي تراه أمامك لم نكن نفتحه الا على صوت العرب وكان المرحوم والدي من فرط حرصه على التقاط كل كلمة يذيعها صوت العرب يلصق أذنه بشبكة الراديو حتى لا يفوت عليه تشويش الإنكليز ونوري السعيد شيئاً مما يذاع من القاهرة، وحدث يوماً ان دخل عليه أخي عبد اللطيف فوجده قد رفع صوت العرب كثيراً فتقدم الى الراديو وخفض من صوته واذا بأبي يصيح فيه وينهره ويسأله: لماذا خفض صوت العرب؟ فأجابه أخي: «أكو جواسيس هواية»، ورفع أبي صوت الراديو مرة أخرى وقال لعبد اللطيف: «لابد ان اصعده حتى اسمع أنت ليش تخاف.. لا تخاف».

وانتهى شقيق عبد الكريم الأكبر من روايته عن أبيه، ثم مضى في الحديث يقول: «حتى تفصيلات الثورة والجمهورية كلها سمعتها من صوت العرب، لقد استيقظت يومها، يوم ١٤ تموز مع الفجر وبعد ان صليت وجلست أتلو القرآن كعادتي فتحت الراديو ساعة افتتاح إذاعة بغداد فسمعت المذيع يقول: «هنا الجمهورية العراقية» ولمن أصدق أذني.

ولكن ما لبثت ان خلصت من رد فعل المفاجأة وارتدت الى نفسي ورجعت بفكري الى ثلاثة أيام مضت يوم ١١ تموز اخر يوم زارنا عبد الكريم زيارته التي اعتادها كل أسبوعين اذ كان يجيئنا من معسكر المنصور الذي يقيم فيه إقامته الدائمة كآمر للواء التاسع عشر المعسكر هناك فيقضي معنا اليوم كله ويعود في المساء.

وفي مساء ذلك اليوم الأخير خرج من عندنا بعد ان قضى اليوم معنا في صمت واضح لا يردد الا كلمات قليلة جداً.. ومال عليّ وانا أودعه عند الباب حيث قال لي: (اذا سأل عليّ أحد في التلفون قولوا لا يأتينا وصار له مدة شهرين او ثلاثة لا يأتي عندنا، تركنا بالمرة، وما ييجي عندنا وما له شغل يمنه «ناحيتنا»).

ومضى وتركني وكلي إحساس بأنه مقبل على الثورة.. ولكن متى.. لا أعلم؟

ثم مضت ثلاثة أيام وعلمت بالثورة بالصورة التي رويتها لك.

ولم يكن يخطر على بالنا أنه سيفعل ما فعل، لذلك كانت المفاجأة بالنسبة لنا كبيرة الى حد عدم التصديق، فقد كان كتوماً حتى علي أنا أخوه الأكبر الى حد أنه كان حينما كنا نذكر نوري السعيد وعهده البائد أمامه بمبادئه ومفاسده ومظالمه كان يقول: «نوري سعيد خوش رئيس وزارة ولا يمكن استبداله بغيره واذا استبدل بغيره لا يمكن ان يكون في كفاءته».

وأصدقك القول إننا وأخي عبد اللطيف وباقي أفراد الأسرة بقينا قلقين على عبد الكريم حتى سمعنا في الإذاعة بيان تشكيل الحكومة وسمعنا أسمه رئيساً للوزارة وقائداً للقوات المسلحة ووكيلاً لوزارة الدفاع فاطمأنت قلوبنا وهدئنا.

وكان الأخوان حامد وعبد اللطيف وهما جالسان أمامي يبدوان صورة من أخيهما الأصغر البطل عبد الكريم.. صورة مكبرة.. ورأيت حولي صوراً أخرى من الزعيم.. صورة مصغرة أولاد حامد الأكبر عدنان وماجد وحسين وطارق وعبد الله وعلي وكانت معنا أيضاً الصغيرة أميرة أختهم تتطلع الى كأسين من الفضة موضوعتين في الغرفة وقال لنا عبد اللطيف عنهما: «أنهما هدية كلية الأركان لعبد المكرم لفوزه بالمرتبة الأولى في سباق الضاحية ولعبة كرة المنضدة سنة ١٩٤١».

وقام حامد مستأذنا لحظة وواصل عبد اللطيف الحديث: « ان كتب وكراسات ومذكرات عبد الكريم كلها عندنا في الغرفة المجاورة في دولاب صغير»، وكان ترتيبه الأول دائما في المدرسة منذ الصف الأول الابتدائي حتى تخرج في كلية الأركان وكان قليل الاختلاط بزملائه في المدرسة لا يختلط بهم الا في المناسبات العامة وكان صبورا جدا فان أراد او اشتهى شراء شيء يلزمه راعى ظروف أبينا المالية لا تسمح ينتظر وقد يطول الانتظار من دون ان يضج او يشكو وكان عنيدا من صغره، واذا جلسنا كلنا الى والدنا وأراد عبد الكريم ان يحدثه في شيء فانه يمضي في الحديث أمامه عن هذا الشيء حتى يكتفي من الحديث ولا تفلح معه مقاطعتنا له.

لقد ربانا المرحوم ابي على الدين والفضيلة لذلك نرى أخي عبد الكريم غيورا على الدين عطوفا على الفقراء حتى ان مرتبه لا يستفيد منه الا لضروراته، وهو متسامح دائما وعون للمظلوم ومحافظ على التقاليد ولا ينتقص من واجباته شيئا حتى لو قعد به المرض عن أدائها فانه يقاومه حتى يقهره.

وقال لي عبد اللطيف قاسم انه متزوج كأخيه حامد وان كان لم ينجب أطفالا، وسألته لماذا لم يتزوج الزعيم عبد الكريم مثلهما فأجابني: «كنا نلح عليه بالزواج منذ ١٥ عاماً مستمرة انا ووالدي ووالدتي وأخي حامد وكان لا يرفض وإنما يردد قائلا (اتركوها لسنة او لستة أشهر)، وهكذا حتى توفيت والدتنا في سنة ١٩٥٣ ثم توفي والدنا في سنة ١٩٥٦.

وعاد الأخ الأكبر حامد يحمل صورة قديمة نفس الصورة المكبرة لحامد وعبد اللطيف وعبد الكريم وقال لي وهو يقدم لي هذه الصورة: «معذرة اذا غبت في البحث عن هذه الصورة، انها صورة المرحوم والدنا قاسم محمد البكر، كان تاجر حبوب صغير مثلي يكسب قوتنا يوما بيوم وكان من الشعب الكادح .. انها الصورة الوحيدة له عندنا فأرجو ان تحرص عليها وتردها الينا ولولا مكانة المصور عندنا وعند شقيقنا عبد الكريم لما أتمنتك عليها».

وتناولت الصورة من بين يديه أتأمل فيها ابن الشعب الذي أنجب بطل الشعب ومضى حامد يقول لي وهو يشير الى الصورة لقد جمعنا رحمة الله عليه حول فراش موته وهمس باذن كل منا بدعائه الأخير وكان دعائه لي أسأل الله ان يعطيك الإيمان ودعائه لأخي عبد الكريم أساله تعالى ان يوفقك ويعمي عنك أبصار الظالمين.

وأضاف عبد اللطيف، اما دعائه لي فكان ابني اتفق مع أخوتك وعسى الله ان يوفقكم جميعا.

وقمت استأذن بالانصراف وخرج معي الأخوان وأبناء حامد كلهم يودعونني الى باب البيت الصغير المتواضع وسالت حامد، هل ولدتم كلكم هنا في هذا البيت؟

فأجابني: لا في بيت اصغر في حي (قمبر علي) وقد ذهب هذا البيت مع التخطيط الجديد لشوارع بغداد وانتقلنا الى هذا البيت منذ ثمان سنوات.

احداث عراقية

١٩٢٧

× زفاف الملك «غازي الاول على ابنة عمه «الاميرة عاليه» من دون اجراء مراسيم الفرح والسرور مساء ٩ شوال . ٢٥ كانون الثاني .

× وفاة الاميرة «رفعه» شقيقة الملك غازي يوم ١٠ شباط .

× استقالة وزارة جميل المدفعي الاولى يوم ٥ ذي القعده ١٩ شباط .

× تاليف الوزارة المدفعيه الثانيه في ٧ ذي القعده ٢١ شباط .

× موافقة مجلس الامه على «قانون الدفاع الوطني « رقم٩ شباط .

× اقامة «المهرجان الكشافي العام « في ساحة الكشافه ، تحت رعاية الملك غازي الاول من ٢٠ الى٢٩ آذار والمناداة بالملك غازي حاميا للكشافة العراقيه يوم ٢١ آذار يوم عيد ميلاده .

× تاسيس جمعية الجوال العربي في بغداد من اساتذة الثانوية المركزيه ودار المعلمين الابتدائيه وبعض المدارس الابتدائيه في بغداد .

× قيام الملك بجولة تفقديه في الوية كربلاء والحله والديوانيه والناصرية والبصره مابين ١٠ و١٤ نيسان .

× وضع مديريه الاثار العامه يدها على القصر العباسي وقامت برفع الابنيه المستحدثه وابراز المخطط القديم وصيانة الاجزاء الباقيه كما قامت بصيانة الاجزاء التالفه من الزخارف .

× تدشين بناية «مستشفى جمعية حماية الاطفال « في بغداد يوم ١ مايس .

× عقد مؤتمر عشائري في ديوان وزارة الخارجيه في بغداد بين ممثلي الحكومتين العراقيه والسوريه يو ٢٦ مايس .

× انتخاب المحامي بهجت زينل رئيسا لنقابة المحامين .

× زيارة سلطان البهره « مولانا طاهر سيف الدين « بغداد والعتبات المقدسه في العراق في ٥ حزيران .

× تاسيس «جمعية رابطة العلماء « للخدمات الدينيه والثقافيه والاجتماعيه مركزها بغداد .

× التوقيع على معاهدة استرداد المجرمين بين العراق والولايات المتحده الامريكيه ٧ حزيران

×وصول وفد تجاري ياباني لدراسة احوال الاسواق التجاريه في بغداد

× انشاء «مستشفى الكاظميه « مقابل سراي الحكومه في الكاظميه .

× سفر الملك غازي الى الموصل لافتتاح الجسر الحديد الجديد يوم ٩ حزيران ثم قصد الوية كركوك واربيل والسليمانيه وعاد الى بغداد في ١٧ حزيران .

× اجراء تخفيض في اجور الماء المقطوعه والاجور بالمقياس بمعدل١٠ بالمائه اعتبارا من ١١ تموز .

× تاسيس فرقة «بابل للتمثيل « برئاسة محمود شوكت .

×استقالة وزارة «جميل صدقي المدفعي « الثانيه يوم ٢٥ آب .

× تشكيل الوزارة برئاسة «علي جودت الايوبي « يوم ٢٧ آب

× قرار مجلس الوزراء بمنع القطار الذاهب الى كربلاء من العبور على سدة الهنديه اعتبارا من يوم ٢٧ آب بعد ان ضعضع قواعدها .

× موافقة مجلس الوزراء على مقاولة مشروع سدة الكوت في ٦ ايلول .

× زيارة ولي عهد السويد «غوستاف ادولف» لبغداد، وبعض المدن الرئيسيه والتاريخيه .

× اجراء عملية تسجيل النفوس العام فكان المجموع «٣،٣٨٠،٥٣٣» نسمه بنسبة «١،٦٨٨،٢٣٤» نسمه من الذكورو»١،٦٩٢، ٢٩٤» نسمه من الاناث

× اجراء انتخاب مجلس النواب حسب الطرق المالوفه التي تميزت بتدخل حكومي واسع النطاق يوم ١٥ ايلول .

× موافقة مجلس الوزراء على مشروعي «جدول الاسحاقي» و»جدول الحويجه « وذلك في ٣ تشرين الاول .

× اجتماع البرلمان العراقي يوم ٢٩ كانون الاول وقد تعرضت الوزارة فيه لهجمات شديده تركزت خصوصا على اساليبها الانتخابيه .

× صدور القوانين : «الدفاع الوطني « رقم ٩ «مراقبة الاتجار بالاسلحه» رقم ٧ وقانون «اثبات التواقيع « رقم ٣٦ و»قانون استملاك الاموال غير المنقوله « رقم ٣٤ و»قانون اعادة الحقوق الممنوعه» رقم ٣٠ و»قانون تحرير التركات وادارتها « رقم ٢٧ و»قانون جمعية الهلال الاحمر العراقيه» رقم ٤٠ و»قانون تسجيل السفن النهريه « رقم٢ و»قانون اليانصيب والاكتتابات العامه» رقم ٤٢ و»قانون نوط الهلال الاحمر « رقم ١٠ و»قانون التفتيش المالي « رقم ٥ . صدور الجرائد :(الاحرار ، البعث ، الراعي ، الرايه ، صوت الاهالي ، المخيم) .

الملك فيصل الثاني اثناء تأديته القسم عام ١٩٥٣ ويبدو في الصورة السيد محمد الصدر والامير عبد الاله وتوفيق السويدي وجميل المدفعي وعدد من اركان الحكومة

ذاكرة عراقية

من أرشيف الصحف العراقية

كيف قمعت أول صحيفة نسوية في العشرينات؟

ذاكرة عراقية
د. خالد حبيب الراوي

مرت المرأة العراقية بأسوأ عهود الامتهان والتخلف وكان ذلك انعكاسا للتخلف الذي فرضته القوى الأجنبية التي حكمت العراق فقد وصفت إحدى الصحف العراقية الصادرة قبل الحرب العالمية الأولى وضع المرأة العراقية آنذاك بالشكل الآتي:

إن حالة المرأة في مدينة بغداد حالة يستحي القلم من تحريرها لأنه لا يوجد بينهم واحدة من عشرة آلاف ممن يحسن القراءة وتمضي الجريدة بالقول: أن الشاعر الرصافي عندما نظم قصيدته النسائية التي تناقلتها الجرائد السورية، توالت الردود عليه وطالبت بتحريم تعليم المرأة شيئاً من المعارف والعلوم (لأنهن لا يصلحن لذلك وإنهن من سقط المتاع..) ولكنهم تساهلوا الآن فرخصوا تعليم المرأة تلاوة القرآن العظيم بشرط عدم تناول القلم لخط شيء لأن ذلك محظور.

هذه الصورة عن تعليم المرأة تبين حجم الأمية والجهل الذي كان يعيشه نصف المجتمع العراقي المكون من النساء وينبغي ألا يغرب عن البال إن حال المرأة العراقية في الأرياف والمدن البعيدة كان سيئاً للغاية لأن فرص التعليم بالنسبة إليها كانت معدومة وتروي إحدى رائدات الحركة النسوية في لعراق في كتاب لها عن المرأة العراقية، ان أول رئيس للوزراء في العراق هو السيد عبد الرحمن النقيب بلغ تطيره من السفور حدا ان حذر أهل منزله من السير داخل المنزل من دون عباءة خشية ان تمر إحدى الطائرات فيقع نظر الطيار عليهم!

الصحافة النسوية في العراق

بعد صدور مجلة (ليلى) راحت بعض الصحف العراقية تنشر أعمدة أو صفحات وجهتها الى المرأة ضمن الصفحات المتخصصة التي كانت تنشرها وكانت متقطعة الظهور.

وبعد مرور أكثر من عشر سنوات على توقف مجلة (ليلى) صدرت مجلة (المرأة الحديثة) في عام ١٩٣٦ وظهر منها ثمانية أعداد ثم توقفت في نفس السنة، وصدرت مجلة (فتاة العراق) في السنة نفسها وظلت هذه المجلة تصدر حتى عام ١٩٣٩ ولم تكن منتظمة الصدور.

وفي عام ١٩٣٧ ظهرت جريدة (فتاة العرب) وأصدرت ٢٢ عدداً ثم توقفت في السنة نفسها.

تميز هذا النوع من الصحافة النسوية الذي صدر في الثلاثينيات من القرن العشرين بمستوى تحرير وإخراج متواضع وكان القطاع الخاص يقف خلف عملية إصدار هذه الصحافة، أما مرحلة الأربعينيات من القرن العشرين فقد تميزت بظهور صحافة المنظمات والمؤسسات الى جانب صحافة القطاع الخاص، فقد قامت القنصلية البريطانية في البصرة بإصدار مجلة (فتاة الرافدين) التي وصفت نفسها بأنها (المجلة النسائية الوحيدة من نوعها في الشرق الأوسط لمحررتها مسز مكفرسن) وقد استمرت هذه المجلة بالصدور حتى عام ١٩٤٦ وقد اسهم فيها بعض الكتاب العراقيين وكانت تطبع خارج العراق بورق صقيل وألوان متعددة وإخراج فني متطور وحافلة بالصور.

مجلة (ليلى)

صدر العدد الأول من مجلة (ليلى) في الخامس عشر من تشرين الأول ١٩٢٣ ووصفت ظهورها بأنها (في يبيل نهضة المرأة العراقية) وعرفت نفسها بأنها (مجلة نسائية شهرية تبحث في كل مفيد وجديد مما يتعلق بالعلم والفن والأدب والاجتماع وتدبير المنزل).

أما سبب اختيار اسم (ليلى) للمجلة فقد كتبت بولينا حسون صاحبة المجلة في العدد الأول تقول أنها سمعت الشاعر جميل صدقي الزهاوي يلقي قصيدة في منتدى التهذيب جاء فيها:

وأني (بليلى) مغرم وهي (موطني)
وعليّ اقضي في غرامي بها نحبي

(فهبطت الكلمتان (ليلى والوطن) على قلبي هبوط الوحي فاندفعت الى تحلية المجلة باسم (ليلى) وقد كان في فكري ان اسميها (فتاة العراق).

وكتبت بولينا حسون في افتتاحية العدد الأول تقول أن البعض يعتقد بأن (ظهور مجلة نسائية في العراق من (الكماليات) التي لا حاجة اليها الآن، وان المناداة بنهضة المرأة العراقية نفخ في رماد، فهؤلاء وأمثالهم معتادون إطفاء الأرواح ولعلهم من بقايا (الوائدين).

انها أول مجلة نسائية توقفت فتاة عراقية في إصدارها فهي تفتخر بذلك مثنية على كل من دفعته النخوة الى تنشيطها، لكنها لا تدعي ولا تؤمل ان تكون في أول أمرها من أمهات المجلات، وبرغم ان بولينا حسون أصدرت أول مجلة عراقية الا ان مريم نرمة وهي إحدى الصحفيات العراقيات الرائدات ذكرت بأنها مارست الصحافة في عام ١٩٢١ أي قبل بولينا حسون، وربما تكون نرمة قد نشرت موضوعاً أو أكثر قبل صدور مجلة (ليلى) الا ان بولينا حسون بعملها الصحفي المنتظم تعد بحق الصحفية الأولى في العراق.

ومن المؤسف ان المعلومات الشخصية عن بولينا حسون قليلة ولكن ما تم تجميعه عنها يشير الى انها كانت تعيش في مصر وفلسطين قبل عودتها الى بلدها العراق، وقد نشرت في أحد أعداد مجلة (ليلى) قصيدة لخالها الشيخ إبراهيم الحوراني كما أشارت أكثر من مرة الى ابن عمها سليم حسون وهو صحفي عراقي بارز من الموصل وصاحب جريدة (العلم العربي)، فهي إذا موصلية عراقية من جهة الأب ومن جهة الأم من فلسطين أو الشام.

وتناقضت الآراء بشأن مجلة (ليلى) فمنهم من ذكرها ومنهم من هاجمها الا انها كانت متميزة في أسلوبها ومواضيعها.

يقول المؤرخ عبد لرزاق الحسني في التعريف بمجلة (ليلى) انها كانت عاملاً مهماً في تثقيف المرأة العراقية وتسديد اتجاهها، وقال كاتب أخر انها كانت (من خيرة المجلات التي صدرت في العراق على الإطلاق ولا تضاهيها حتى مجلات اليوم على الرغم من التقدم الهائل في ميدان الطباعة والتحرير.

لقد كان العدد الأول المكون من ٤٨ صفحة حافلاً بقصائد ومقالات لكبار الأدباء والكتاب في العراق، وأصبح هذا من تقاليد مجلة (ليلى) وهو شيء ميزها إضافة الى المعالجات الاجتماعية المهمة التي كانت تنشرها المجلة.

وناقشت المجلة قضية النهضة النسوية في أعداد مختلفة، وجاء في افتتاحية عددها الثالث الذي صدر في الخامس عشر من كانون الأول ١٩٢٣ تحت عنوان (حديث ربات المنازل)، ان الدعوة التي طرحتها مجلة (ليلى) بصدد مسألة نهضت المرأة قد لقيت الاستجابة في المجتمع وأصبحت حديث المنازل والمنتديات والصحف، وقد قامت مجموعة من السيدات بعقد اجتماعات قررن فيها فتح ناد نسائي يضم كل من ترغب في الانضمام اليه، وتشكلت اللجنة من السيدات عقيلات نوري السعيد وزير الدفاع وجعفر العسكري رئيس الوزراء وأحمد الداود وامت الزهاوي وكريمة رئيس الوزراء وبولينا حسون.

ودعت مجلة (ليلى) أصحاب القرار أعضاء المجلس التأسيسي الذي تم انتخابه آنذاك النظر الى قضية المرأة العراقية وإصلاح أحوالها التربوية والاجتماعية وقالت: ان المرأة أختهم وأبنتهم وشريكة حياتهم لاصقة بحضيض الجهل والجمود والخمول، ان نجاح النهضة النسائية الناشئة منوط بغيرتكم وشهامتكم أيها الرجال الكرام لاسيما انتم الذين تحملتم تأسيس الحياة الديمقراطية العراقية على قواعد عصرية راسخة والحياة وانتم تعلمون ليست حق الرجل فقط.

وفي وداعها للسنة الأولى ذكرت بأنه لم يكن بالأمر السهل على المجلة ان تظهر فجأة وتنادي بأعلى صوتها (اتقوا الله وفكوا قيود المرأة وأقيموها من حضيض الذل والخمول فإنها مساوية لكم في الحقوق وأنكم من دونها لخاسرون ومتأخرون وخائبون)!.

واستمرت المجلة تؤكد موقفها الثابت من تحرير المرأة وكانت تنشر مقالات تدعوا الى ايلاء المرأة المكانة السليمة الجديرة بها في الأسرة والمجتمع، ومن ضمن ما نشرته: قد بلا الزمن الذي كانت فيه المرأة تحسب انها خلقت (متعة) أو متاعاً أو ولادة ليس الا.

وكان الرجل يعد السيد المطلق بصنع بامرأته او أولاده ما يهوى ويعد المرأة مخلوقاً حقيراً لا يدرك ولا يفقه ولا يسمع له كلام ولا يعرف شيئاً من أمور الدنيا

ولا يستأهل ان يستشار في أمر وان يعمل برأيه في مسألة من المساءل.

واختتمت مجلة (ليلى) السنة الثانية من صدورها بافتتاحية جاء فيها انها على يقين بانها لن تضطر الى إبداء أدنى شك في مواصلة عامها الثالث، وانها ستلاقي أعواناً أقوياء يسعون الى إطالة عمرها وإسعاد حالها وتأييد مشروعها الوطني الذي يجب ان يعضده كل ذي دماغ وقلب.

الحملات ضد (ليلى)

اثار صدور مجلة ليلى ردود فعل متباينة فمن كان يدعو الى تحرير المرأة وتقدمها وقف مع المجلة ومن كان يناوئ الأفكار الجديدة التي تدعو للنهضة وقف ضدها، ومن المعروف ان الفترة التي ظهرت فيها مجلة ليلى شهدت صراعاً حاداً بين أنصار السفور وأنصار الحجاب في الصحف العراقية، وقبل ان تمضي السنة الأولى من صدور المجلة بادر بعض الكتاب الى مهاجمتها والقدح في صاحبتها وبالمقابل انبرى بعض الكتاب للدفاع عنها.

وكانت جريدة المفيد لصاحبها إبراهيم حلمي العمر في مقدمة الصحف التي هاجمت بولينا حسون وقد ابتدأت الحملة بنشر مقالة هاجمت بولينا حسون ومجلتها بقسوة ووقعها (خبير بما هنالك)، فقامت جريدة العالم العربي بنشر رد تحت عنوان (تكذيب المدعي الخبرة) ردها بالتوجيه الى بولينا حسون: (لا تزعجي أيتها الآنسة الفاضلة ولا تبرد همتك يا بنت العراق من أقوال سخيفة، بل تشجعي وثابري على العمل فأهل الإصلاح مضطهدون في كل قرن، ان اليوم بدأ مجدك فلا مجد من دون الم ولا تنسي ان نور الشمس يضر بعيون البوم ولا تغفلي من ان تلك الأيدي الأثيمة عينها أرادت ان تطعن (ليلى) حسون وأرادت ان تطعن (ليلى) الزهاوي الا ان كيدها رجع الى نحرها وسيعلم الظالمون أي منقلب ينقلبون.. لك يا ليلى أنصار.. لك أيتها المصلحة النسائية من يأخذ بيدك والله وليك وولي كل مصلح).

وإضافة العالم العربي انه لا مبرر لان يهب البعض بالقدح والذم بالمجلة وصاحبتها ثم قالت: (فحسب المجلة ان تكون بشيراً لفجر سعيد يسطع نوره بين العالم النسائي).

ان تلك المساجلات كما أسمتها جريدة المفيد كانت تتضمن الكثير من عبارات الذم والتحقير والاستخفاف والتعريض بتلك الصحف الرائدة التي كانت تعمل وحدها كامرأة وسط عالم رجالي معظمه يعاديها لأسباب متباينة، على الرغم من الانتصار لها من قبل جريدة العالم العربي لأسباب عائلية في الدرجة الأولى الا ان ذلك الدعم ما كان يوازي حجم الكتلة المناوئة لها وبرغم هذا لم يفت في عضد بولينا حسون كلما تعرضت له.

قامت وزارة المعارف التربية بتعيين بولينا حسون مديرة لمدرسة باب الشيخ الابتدائية في بداية العام الدراسي ١٩٢٥ وبعد ان باشرت مهام عملها بأيام نشرت جريدة العراق مقالة طويلة فجرت الصراع من جديد حول بولينا حسون وكانت المقالة موقعة باسم طالبة تركت المدرسة بسبب تصرفات المديرة الجديدة.

ان الحملة التي قادتها جريدة العراق ضد بولينا حسون في تلك الحقبة من الزمن التي حفلت بالإساءات الى الصحفية الرائدة دفعها لان تقيم دعوة على الصحفي رزوق غنام أمام المحاكم وتم النظر في الدعوة.

وقد ذكرت جريدة العالم العربي ان المحاكمة والمرافعة في القضية استغرقت ثلاث جلسات وحضرها عدد كبير من الجمهور وكانت نتيجة الدعوة ان صدر القرار لصالح بولينا حسون.

ويبدو ان الضغط والحصار الشديد والحملات التي جابهتها بولينا حسون سواء من قبل المتزمتين او الصحافة او الإدارة قد دفعها للعدول عن إصدار العدد الأول للسنة الثالثة والاستمرار في العمل الصحفي وكانت النتيجة ان قمعت تلك المجلة الرائدة المتميزة وتوقفت عن الصدور

ولم تكتفي بولينا حسون بذلك بل حزمت أمتعتها وغادرت العراق عائدة الى فلسطين وخلفت وراءها ذكرى امرأة عراقية باسلة إضافة الى كونها أول صحفية عراقية رائدة في الحركة النسوية في العراق.

ماذا دار بين الملك غازي والأديب المصري زكي مبارك

ذاكرة عراقية

حسين شهيد المالكي

انْ طبيعة المجتمع العراقي تتميز بالكرم والسخاء واكرام الضيف وكان العراق وما يزال بلدا مضيافا لكل الشعوب وخاصة الشعب العربي فكانت العرب وخاصة المصريين من المثقفين والمتعلمين والعمال تأتي لزيارة العراق لغرض العمل والاستفادة من خيرات العراق .وكان الدكتور زكي مبارك من احد الأساتذة المصريين الذي يعمل في حقل التدريس زار العراق وعمل فيه وكتب عن طبيعة المجتمع العراقي في العهد الملكي في كتيب سماه (ملامح المجتمع العراقي) ونشر في عام ١٩٤٢ وقد ذكر فيه (دخلت بغداد وكنت اعرف ان جلالة الملك غازي الأول يسره ان يستقبل الأساتذة المصريين وقد تشرف كثير منهم بمقابلته في قصر الملك او في قصر الزهور ،ولكني مع ذلك لم اطلب التشرف بمقابلته، لاني كنت أتهيب الاتصال بالملوك ،وبالرغم من هذا التحفظ كنت أتحرق شوقا إلى معرفة الذوق الأدبي عند الملك غازي الاول ..فهو من اسرة هاشمية لها ماضٍ مجيد في رعاية الأدب الرفيع ،وهو يجلس على عرش العراق الذي ازدهر الأدب في رحابه حينا من الزمان وخلال الزيارة سكنت في البداية في فندق (تايجرس) مع الدكتور محمود عزمي فحضر شاب يعمل سكرتير الإذاعة اللاسلكية في بغداد وهو السيد فؤاد جميل ،وقد طلب ان أواجه الجمهور العراقي بكلمة في الإذاعة اللاسلكية فاعتذرت في بداية الامر ،ولكن السيد فؤاد جميل عاود الطلب ثانية وقال :يكفي ان تقول كلمة موجزة عن رمضان .. فأعددت كلمة عن «الأسمار والأحاديث في ليالي رمضان» والقيت في محطة الإذاعة اللاسلكية وبعدها مباشرة تلقى مكالمة هاتفية من الملك غازي يناقش في دقائق المحاضرة .وفي اليوم التالي طلبني الدكتور محمود عزمي ودعاني لمقابلته مساء في فندق (مود) فلما التقينا عرفت ان هذه المحادثة الملكية كان لها رنين في المقامات السياسية، وأشار بان أقابل رئيس الديوان الملكي واشرح له مغازي الحديث الذي القيته بالإذاعة اللاسلكية .وكان السيد فؤاد جميل يحب ان أتحدث في الإذاعة اللاسلكية مرة كل أسبوع وكان مفهوما اني سأتلقى من المكافأت المالية ما يغريني بإكثار من تلك الأحاديث .ولكن السيد فؤاد انصرف عني قطعا ،فعرفت انه لن يدعوني الا اذا فهم ان جلالة الملك يسره ان يسمع صوت الدكتور زكي مبارك ضيف العراق .وبعد مرور شهر تقريبا اتصل في دار المعلمين العالية سكرتير الإذاعة يسأل عني ،واخيراً ذهبت لمواجهة السيد فؤاد جميل بوزارة المعارف فقال :يا مولاي اين وعودك؟ وان جلالة الملك غازي يسره ان يسمع صوتك وان يقبل كل شيء من ضيوف العراق.ودارت الأيام بالسعد فكنت القي في الإذاعة العراقية كل ما أشاء .ولكني كنت أراعي كل مرة ان جلالة الملك قد يسمع حديثي فابذل في أعداده كل ما املك من ذوق وعقل فان كان اهل بغداد أعجبوا بأحاديثي في الإذاعة العراقية فليعرفوا ان الفضل كان يرجع إلى رقابة ذلك الملك الأديب والواقع ان الملك غازي ورث الذوق الادبي عن الملك فيصل الأول.. ومرة كنت اسهر مع أديب من الأدباء في العراق ،فحدثني عن قصيدة لشاعر عراقي كبير قال فيها هجاء للملك فيصل الأول وانشد منها ابياتا فقلت (أنت تعرف اني اكره اغتياب الملوك) فقال ان الملك فيصل الاول حين سمع بهذه القصيدة طلب ان يسمعها من الشاعر نفسه ومنحه جائزة هل في الدنيا ملوك يحبون ان يسمعوا ما يقال فيهم من الهجاء؟ وان الجماهير في البلاد العربية كانت لا تنظر إلى صورة الملك غازي الا مقرونة بحبه للطيران ..ولكن كان الملك يحلق من حين إلى حين في أجواء الأدب والخيال.

زكي مبارك

صورة وتعليق

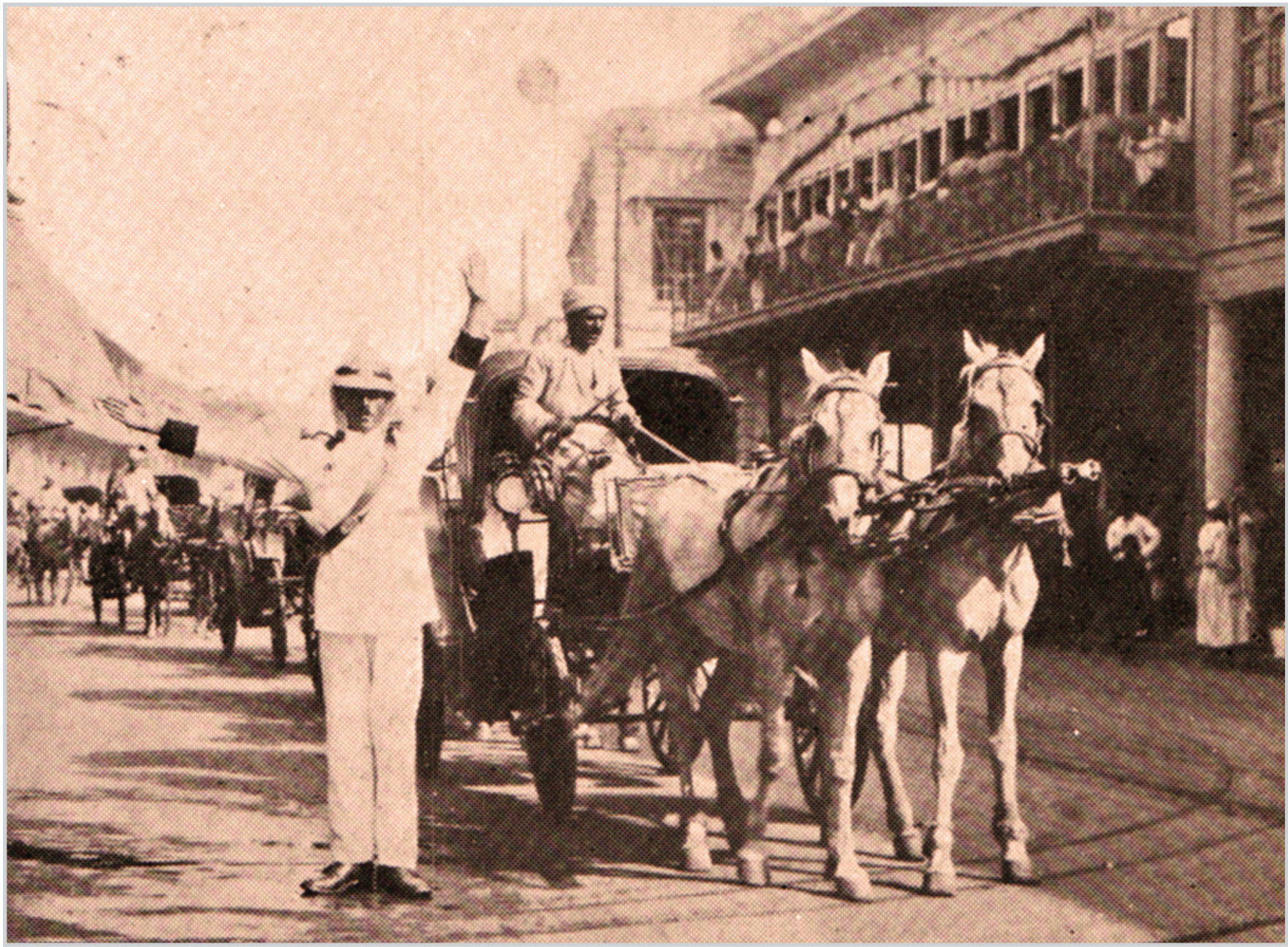

شارع الرشيد ووسائط النقل في بداية العشرينيات

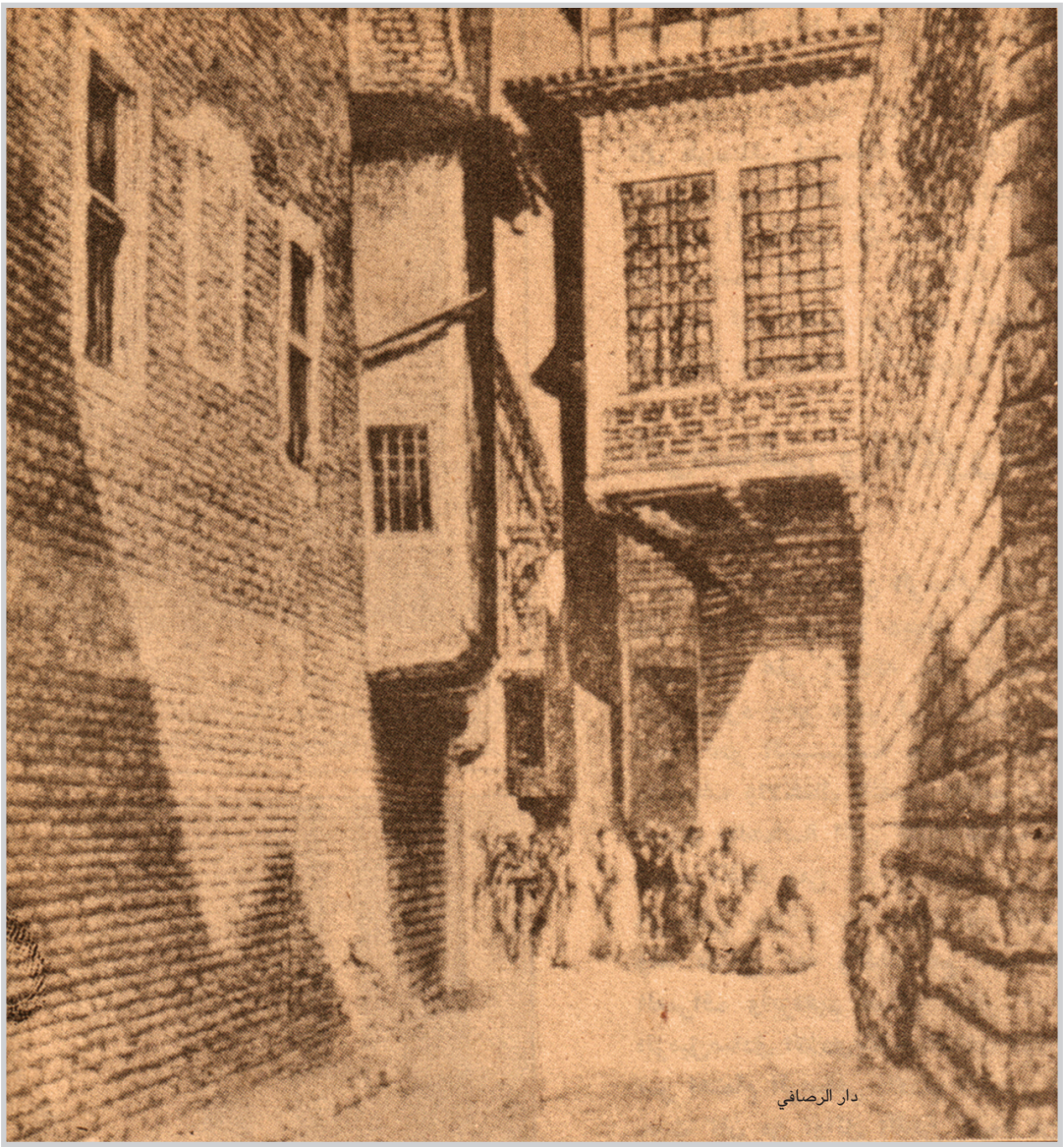
دار الرصافي

في عام ١٩٣٠ كان للمرحوم الرصافي خادم يدعى حمدان يجمع بين البلاهة وعدم الأمانة، وفي ذات يوم أعطاه الرصافي خمس روبيات ليطبخ له باميه وليدبر أمور منزله بالباقي، فقد كان الرصافي قنوعاً بأنواع الطعام فهو لا يأكل إلا نوعاً واحداً منه يومياً، وبعد رجوع الخادم من السوق أعلم أستاذه بأنه صرف جميع الروبيات على قدر الباميه!! وكان يتكلم وعلائم الخيانة بادية على وجهه

الرصافي وقدر الباميه

هل نظم مصطفى علي الشعر؟

الرصافي والكرخي في تكريم الأمير عادل ارسلان.

، فغضب الرصافي لهذا الأمر غير المعقول وسأله:- ولك! ما تفهمني شسويت بالخمس روبيات؟

فأخذ الخادم حمدان يعدد مشترياته:- بانتين باميه، وبانة طماطة، وبانة راس ثوم، وبعشر أنات لحم، وبانة فلفل وبهارات وبانة للحمال.

فأجابه الرصافي:- زين كلها صارت روبية واحدة، والأربع روبيات الباقية وين صارت؟

فتعلثم الخادم وقال:

-اشتريت بيها فحم لطبخ الباميه؟!

فما كان من الأستاذ الرصافي إلا وصرخ به:

-ويحك، أما كان الأجدر بك ان تضع الفحم في القدر وتشعل تحته الباميه واللحم، لأن البطانة أصبحت أغلى من الوجه.

كان المرحوم الهاشمي يعطف كثيراً على الصحافة والصحفيين لدرجة أنه ساعد مرة في زواج أحدهم مالياً، حتى أن بطاقات حفلة عقد القران طبعت على حسابه الخاص.

وفي دار العلوم بالأعظمية أقيم حفل عقد القران.

فلما سمع الأديب المعروف الأستاذ مصطفى علي بقصة هذا الزواج نظم هذين البيتين الساخرين يصف بهما ذلك الحفل:

وفي (دار العلوم) أقيم حفل
لعقد قران
(عادل...)
وقام الحاج (...) خطيباً
لأن الحاج
شيخ الـ...

زار بديوي الحاج رحومي الأستاذ الرصافي في بيته فوجد المرحوم الكرخي جالساً مع الرصافي واجماً واضعاً يده فوق خده فسأله بديوي:- ماذا بك يا أبا نجم؟ أراك على غير عادتك.

فأجابه:- الطابوك نام والشكنك كام.

فاستفسر منه بديوي عن مقصده فأجابه:

-إنك تعلم أن الأمير عادل ارسلان قدم الى بغداد، وقد أقام له لفيف من المحبين وعلى رأسهم المرحوم ياسين الهاشمي حفلة في (سينما رويال) - سينما الحمراء الصيفي ثم موقف للسيارات الأهلية حالياً- ولم أدع لهذه الحفلة التكريمية فتألمت كثيراً إلا أني رأيت الأستاذ الرصافي لم يدع أيضاً هان الأمر علي في الوقت الذي كان يجب أن يترأس الرصافي هذه الحفلة.

وفي هذه الأثناء دخل شفيق نوري السعيدي وسلم وجلس وكلم الرصافي والكرخي قائلاً:- إن ياسين الهاشمي يعتذر لعدم إيصال بطاقتي الدعوة لكما وهو يدعوكما للحضور الآن، فرفض الرصافي وسكت الكرخي فكرر شفيق الكلام والتمس من الرصافي تلبية الدعوة فرفض ثانية وبإصرار، فعاد شفيق من حيث أتى وبعد نصف ساعة أتى ياسين الهاشمي بنفسه ومعه عدد من الأشخاص فدعاهما لحضور الحفلة واعتذر لعدم وصول البطاقتين إليهما فوافقا وتهيئا للحضور ولما وصل الرصافي والكرخي وبديوي الى مكان الحفلة وجدوا القاعة غاصة بالمدعوين فأحضرت لهم الكراسي وصفت بالقرب من الشاشة.

افتتح الحفلة الأستاذ الهاشمي بخطبة ارتجالية بليغة رحب فيها بالأمير عادل أرسلان بعده تعاقب الشعراء والخطباء والرصافي يدعك شاربه بأصبعه وهي علامة غضبه.

فسأله الكرخي:-ما رأيك يا أستاذ؟

فأجابه:

-اصبر شوية؟!

وعندما انتهى الخطباء والشعراء تغيرت سحنة الرصافي وجحظت عيناه فقام وارتجل القصيدة الشهيرة التي مطلعها:

علم يعززه من دولة علم

في كل عصر به
سادت الأمم

فصار بديوي يضبط القصيدة وكان الى يمينه المرحوم جعفر الشبيبي والى يساره الأستاذ مصطفى علي فكانا ينتزعان الأوراق من مفكرتيهما ويسلمونها الى بديوي لضبط القصيدة كاملة الى أن ختمها بقوله:

يا عادلاً كاسمه لا تنس مظلمتي
عندي خصوم وما عندي لهم حكم

فدوى التصفيق زهاء ربع ساعة وهو يشير بهذا البيت الى الأستاذ الهاشمي وينحي عليه باللائمة لعدم توجيه الدعوة له مسبقاً ليكون مستعداً أكثر فأكثر ولو أنه لم يقصر وإن كان قد حضر متأخراً.

عقائد بغدادية

الحسد (اصابة العين والتنشير)

يخشى اهل بغداد (العين)فاذا قال احدهم مثلا (كمال صايره صحته زينه)صاحت امه او احدى قريباته (حيه وراك--- كول ماشاالله) وعند خروج ذلك القائل رجلا كان او امرأة من البيت توقد الام النار لترمي فيها الملح والحرمل ثم (تنشر)لابنها بالاسلوب التالي:تمسك بيدها ورقة زرقاء من اغلفة كالل شكر قند ثم تثقبها بدبوس او ابرة قائلة (نشرت لك من عين امك واباك ومن عين الكصيره الدحداحيه والطويله الرماحيه ومن عين بنت البيت المخفيه وعين فلان وفلان وفلانه)ذاكرة اسماء من تعتقد بخطر اعينهم على ابنها ثم ترمي تلك الورقة في النار ايضا وتبخر ولدها بالدخان المتصاعد

وبين البغداديين من يعتقد بان الحجاب يمنع العين ويحفظ الولد من اصابتها ولذلك علق اغلبهم في ملابسهم قطعة سوداء من الجلد في داخلها حجاب كتبه الشيخ ومنهم من يعلق سن الذيب او عفصة او ام سبع عيون في ملابس الولد او في (كاورية)الطفل طردا للعين الشريرة وحفظا لاولادهم من النفس اى (الحسد)وقد قالوا قديما (عين الحسود بيها عود)و(الحسودلايسود).

الخسوف--

من درس المجموعة الشمسية يتذكر بان الارض حين تكون بين القمر والشمس وهو بدر تحجب عنه النور فلا يظهر للعيان فترة قصيرة واهل بغداد يعتقدون ان القمر في هذه الحالة قد ابتلعته الحوته

فحبا بالقمر المنير الذي تغزلوا به كثيرا وشبهوا به حسانهم حيث قالوا (اشلون وجه مثل قلعة الكمر)يحملون صغارا وكبار الى السطوح جميع ادوات الصفر الموجودة في البيت كالقدر والطشوت وغيرها ويبدأون بالضرب عليها وهم متجهون الى ناحية القمر منادين باعلى اصواتهم :

يا حوته يامنحوته××××هدي كمرنه العالي
هذا كمرنه انريده××××هو علينه غالي
وانجان متهدينه××××ادك لج بصينيه

ويستمرون هكذا حتى يظهر القمر رويدا رويدا بعد ان (تزوعه الحوته)وعندئذ تنطلق الهلاهل وتقام الافراح بنجاة محبوب الجميع من فم الحوت .والغريب ان الانسان اليوم في طريقه الى القمر ولا زال بعض البغادة يهددون الحوته بالضرب على صوانيهم اذا لم تترك القمر

عقائد وعوائد --

يعتقد البغداديون ان حكة اليد اليمنى تعني ان صاحبها سيحصل على دراهم –وان حكة الخد تدل على مجيء ضيف عزيز تبادل معه القبل على الخدود وان حكة الخشم (الانف) تبشر باكلة سمك وان حكة الرجل اليمنى تشير الى ان احدهم ذكر صاحبها قدحا او مدحا وان رجفة الكتف تدل على لباس جديد وان وجود شعراية باللسان ينبيء بوصول صوغة اى هدية

ومن عوائد البغداديين ايضا اذا سافر احدهم فان زوجته لاتتصنع ولا تتزوك(اى لا تتجمل ولاتحف شعر وجهها ولاتستعمل اية مادة من مواد التجميل)حتى يعود زوجها واذا سكنت عائلة بجوار عائلة اخرى فمن واجب الجوارين تكريم الجار الجديد بارسال (خبز)فحواه ان غذاء يوم الغد سيكون من بيت فلان. وهذه من العادات اللطيفة التي تتيح الفرصة للعائلة الجديدة في ترتيب البيت وفرشه وتنظيفه فضلا عن ان ام البيت (تعبانة) ولا وقت لها تصرفه في طبخ الغذاء (لصاحب البيت والجهال). وهي كذلك عادة توطد اسباب التعارف الذي لابد منه بين (الجوارين) وهكذا تبقى العائلة الجديدة مدة اسبوع او اكثر والجوارين يتناوبون في ارسال صواني الغداء الحافلة بكل مالذ وطاب

ومن عادتهم ان الابن لايدخن السكارة بحضور والده حتى لو كان الولد متزوجا وعنده اولاد وكذا الاخ بالنسبة لاخيه الاكبر زياة في الاحترام كما لايضع (رجل على رجل)اثناء الجلوس في مجلس يجمعه بمن هو اكبر منه سنا كما ينهض هو وجميع الحاضرين عند دخول رجل اكبر منهم سنا وتلك لعمري من الصفات الحميدة

واذا وجد احدهم قطعة خبز على الارض فانه لايطؤها بقدمه بل يلتقطها ويقبلها ثم يضعها في (زرف الحايط) او بالقرب منه كما انهم يلتقطون من الارض كل ورقة مكتوبة ويحرقونها او يضعونها في ثقب الحائط ايضا خشية ان يكون فيها اسم الله جل جلاله

الخيره(التطلع للستقبل) --

هناك بين البغادة من يعتقد بقراءة فنجان القهوة ومنهم من يعتقد بالفتاح فال او عداد النجم او الطشه ومنهم من يعتقد بخيرة الدرب التي يمكن ان تتلخص بما يلي :تجلس امراة في ليلة الجمعة مع التمجيد (قبل الاذان)في مفرق اربعة طرق بعد ان ترمي بكل طريق حجرا وتنوي قائلة (ياخيرة البدرب انطيني مابالكلب) ثم تجلس ساكتة الى ان يمر شخصان يتحادثان فيما بينهما فتسمع تلك الحرمة (المرأة) حديثهما وتفسره.واليكم مثلا :اذا قال المتحث (اني كتله اموافق روح واتوكل على الله)فتكون هذة الخيرة راشدة (جيدة) ولذلك تعود الى بيتها فرحة مسرورة واذا حصل العكس عادت جازعة يائسة

وهناك من البنات من تتناول لفة خبز وبصل قبل النوم في ليلة السبت وتقول (ياسبت ياسبوت راويني بختي كبل ما موت)فترى حلما في تلك الليلة تقصه صباح اليوم التالي على امها التي تصغي الى وقائع الحلم وهي تردد كلمة (خير-خير)ثم تفسره اذا كان في صالح ابنتها حسب اعتقادها واذا كان رديئا لايبشر بخير فانها تقول لابنتها (روحي احجيه بالطهاره)حتى يفسد ذلك الحلم

التفاؤل والتشاؤم --

يتفاءل البغداديون باللون الابيض ويقولون في معرض الخير لاحدهم (بيضه بوجك حشه اعيونك) ولذلك يبيتون في الدار الجديدة-قبل ان يسكنوها-اللبن او الحليب مع القران الكريم وهو مفتوح على سورة (انا فتحنا فتحا مبينا) مع مرأة وخضروات وماء لاعتقادهم بانها تجلب لهم الخير والسعادة

ويتفاءلون برؤية الهلال في وجه محظوظ وسعيد او في المرأة او الماء ليعيشوا طوال الشهر سعداء والا كان العكس

ويتفاءلون بنحر الذبائح عند الشروع ببناء الدار الجديدة عند دك الاساس وعند وضع التكم تمهيدا للتسقيف وعند تثبيت باب الحوش وعند اكماله والانتقال الى سكناه

ويتفاءلون بدفن قطع نقود فضية في عتبة الباب عند نصبها وذلك طمعا في الخير والرزق

ويتفاءلون بوضع حدوة حصان قديمة او فردة حذاء قديم او قرن كبش او راس غزال او لعابة من القماش محشوة بالحرمل وعليها ام سبع عيون .... فوق مدخل الدار من الخارج لطرد عين الحسود

واذا اعتزم احدهم القيام بعمل ما (وعطس) احد بقربه عطسة واحدة يتريث في عمله قائلا (صبر)اى عليه ان يصبر ويؤجل تنفيذ ما قرر واذا عطس عطستين متتاليتين فانه يقول (راشدة)وينفذ ما عزم عليه

واذا رفت العين اليمنى فانهم (رجالا ونساء) يتشاءمون من ذلك وتفسرون تلك الرفة بالبكاء اما اذا رفت العين اليسرى كان ذلك دليل الخير والتفاؤل الحسن .ومن النساء من تضرب العين اذا رفت بالنعل الذي تنتعله قائلة ---ياعين اذا خير رفي واذا شر عفي

والبغادة لايكنسون الدار ليلا كي لاتطير البركة ويكنس الخير ولايذكرون اسم البيضة ليلا ولايدخلونها الدار واذا اجبروا على ذكرها سموها دحرجة باعتبار ان البيض يقدم لعائلة المتوفي بعد اخراج الجنازة (كفكوك ريك) لذا تشاءموا منها ليلا وهم ايضا لايدخلون في بيوتهم الخيط الابيض او القطن ليلا لنفس العلة التي قهرتهم على التشاؤم من البيض ولا يلفظون كلمة (حية)ليلا واذا اجبروا على ذلك قالوا (الحبل)او (الطويلة)لانهم يعتقدون ان مجرد ذكرها يسبب دخولها في البيتوتعرضهم الى اذاها .ولا يفصلون الفماش الاسود ليلا دفعا للحزن ولنفس السبب لايستعيرون القدور في الليل

ولا يتركون المقص مفتوحا (كي لاتنفك حلوك الدنيا عليهم)ولا يقلمون اظافرهم الا في يوم الجمعة (شرط ان يجمعوا قلاماتها)ويرموها في

سنارة الباب حفظا للرزق

ولايخيطون ملابسهم ليلا اذا كان لهم فقيد لم تمض على وفاته سنة لاعتقادهم بان وخز الابرة في القماش يؤذيه

ويتشاءمون من صوت البوم واذا سمعوه قالوا (سجين وملح)لاعتقادهم بان السكين والملح يبعدان البومة

ويتشاءمون من نعيق الغراب واذا سمعوه قالوا (خير -خير)ومن اللون الاسود ---فهم يقولون عند الدعاء بالسوء لمن اذاهم (سوده بوجك انشاء الله)او (ظلمة ابعينك)---ولكنهم يلبسون السوداء شعارا للحزن

ويتشاءمون من وجود (العزيزه)في اللحم ولذلك يخرجونها ويرمونها بعيدا عن البيت لانهم يعتقدون بان وجودها يؤدي الى (خبثان الخاطر)وشجار بين افراد العائلة كما ان القصاب عند اخراجه العزيزه من اللحم يضربها بالسكين حتى يبطل مفعولها الخبيث،،واذا حصل سوء تفاهم في بيت ما فان جارتهم تسائلهم (اشصار عدكم قابل ذابين ابيتكم عزيزه) والعزيزه عظم في مفصل رجل الخروف (في الفخذ)يقارب حجمها حجم الدرهم اليوم وقد يرسم بعضهم عليها وجها بشريا ويضع في عينيه الكحل وفي وجنتيهاالحمرة ويعصبه بعصابة -اى يشد راسه ثم تدفن هذه العزيزه المصورة بالقرب من باب البيت نكاية باهله وتحفيزا لهم على الخصام فيما بينهم وقد نظم الشاعر الشعبي المعروف الملا عبود الكرخي ذلك شعرا بقوله:

ابعتبة حوش (العزيزه)
يدفنوها×××××يكحلوها يسبدجوها يحمروها
ويعصبوها وينقشوها ويلكجوها×××××بذاك الحوش حتى تكثر العركات

احداث عراقية

١٩٣٥

× تاسيس «نقابة هواة التمثيل» في العراق ، وغرضها اصلاح المسرح والسينما في العراق وذلك في ١٤ كانون الثاني .

× وفاة الملك علي ملك الحجاز السابق في بغداد ودفنه في المقبرة الملكيه في الاعظميه يوم ١٤ شباط .

× فيضان نهر دجله فيضانا هائلا اغرق قسما كبيرا من بغداد ، وجرفت مياهه البيوت والزروع ، فكانت اضراره جسيمه جدا، واشترك افراد الجيش والشرطه والكشافه في سد الكسرات ، كما اعلنت السخره الاجباريه وطغى الماء حتى استوى فوق جسور بغداد وكان اعلى مستوى للماء يوم ١٧ شباط .

× استقالة وزارة علي جودت الايوبي الاولى يوم ٢٣ شباط

× تشكيل الوزارة المدفعيه الثالثه في ٤ آذار .

× وفاة «الملكة خزيمه « والدة الملك غازي بالسكته القلبيه ودفنها في المقبرة الملكيه في الاعظميه يوم ٢٧ آذار .

× هبوب رياح عاصفه بسرعة «٧٥ ميلا» في الساعه يوم ٣٠ آذار وقد شملت اضرارها كافة انحاء العراق وغرق «الجسر العتيق «الخشبي الذي كان في محل جسر الشهداء الحالي ، ومات بسببها زهاء «١٥٠» نسمه .

× استقالة الوزارة المدفعيه الثالثه في ١٥ آذار ولم يمض على تشكيلها الا ١١ يوما .

× تشكيل الوزارة برئاسة ياسين الهاشمي يوم ١٧ آذار .

× وقوع تصادم بين جمهور من ابناء الكاظميه والشرطه بسبب انشاء دائرة البريد فوق المقبرة العامه . حيث باشر الاهلون بهدم بناية االبريد وايقاد النار فيها ، ادى الى سقوط عدد من القتلى والجرحى يوم٢٣ آذار .

× تاسيس «جمعية الناشئه الاسلاميه « ببغداد غايتها العمل للمصالح الاسلاميه والمثل الدينيه والسعي الى مكارم الاخلاق وذلك يوم ٢٠ ذي الحجه. ٢٥ آذار .

× حل مجلس النواب والبدء باجراء انتخابات مجلس جديد في ٩ نيسان .

× الملك غازي يرزق بمولود ذكر سماه «فيصل « صباح يوم ٢٨ محرم. ٢ مايس .

× قرار مجلس الوزراء «اقامة جسرين حديديين ثابتين في قلب العاصمه بمكان جسر الاحرار» والثاني في مكان جسر الشهداء .

× انتخاب المحامي بهجت زينل رئيسا لنقابة المحامين للمرة الثانيه .

× صدور ارادة ملكيه بتنفيذ «قانون الدفاع الوطني « رقم ٩ لسنة ١٩٣٤ وذلك في ١١ ربيع الاول ١٢ حزيران .

× ورود الاخبار من القاهرة تنعى الشاعر «عبدالمحسن الكاظمي « صاحب ديوان الكاظمي دمشق /القاهرة ١٩٣٩ .١٩٤٨ و»عراقيات الكاظمي « و»معلقات الكاظمي في سعد زغلول « القاهرة ١٩٢٤ وغيرها .

× قرار مجلس الوزراء ربط «الموصل ببغداد بالسكة الحديد « ثم ربطالخط ب»تل كوجك» الذي يتصل بخط الشرق السريع الى اوربا عن طريق تركيا.

× توقيع اتفاقية تجاريه بين العراق والمانيا في بغداد يوم ٤ آب .

× افتتاح المجلس النيابي الجديد يوم ٨ آب .

. يتبع غدا ماتبقى من احداث نفس السنه .

حسين الرحال ..ابو الماركسية العراقية

ذاكرة عراقية
د. عامر حسن فياض

ان الحديث عن حسين الرحال هو حديث عن تاريخ عراقي يحتضن احداثا فكرية سياسية واجتماعية هزت المجتمع العراقي وفتحت الأذهان على مثل جديدة واكتشافات حديثة وأراء غير مألوفة، فسمع الناس صيحات تطالب بالنظام الجمهوري وتحرر المرأة ومساواتها بالرجال، والمطالبة بالحرية الفكرية والاهتمام بالمشاكل الاجتماعية. واذا كانت هذه الافكار الجديدة تعود في ظهروها الى بداية القرن العشرين فان أثرها في الحياة الاجتماعية والسياسية، كان قد بدا بصورة واضحة منذ بداية العقد الثاني من هذا القرن.

والمهم ان هذه الصيحات قد اضطلع بها عراقيون لم يكونوا بعيدين عن الفكر الاشتراكي، فحسين الرحال الرائد الاول للفكر الاشتراكي في العراق كان قد تفتح ذهنه المتحرر اولا من خلال تشبعه بفكر الجمهورية، كما ان ثقل العناية بالمرأة وتحررها كان قد وقع، منذ البدء، على عاتق رواد الفكر الاشتراكي في العراق، بل العناية هذه كانت تمثل باكورة تحرك هذا الرعيل ومحور نشاطهم الفكري والعلمي، اذ كانوا دائما يقرنون تحرر المرأة بتحرر المجتمع بأسره وقد اسهم في تعزيز هذه الافكار معرفة مباشرة نقلها الى العراق بشكل خاص حسين الرحال.

وفي المطالبة بالحرية الفكرية راح الرعيل الاول من الرواد يتحمس لها لأن الحرية تعني بالنسبة لهم بالضرورة نبض الحرية لافكارهم وللمتقدمين، تدفع بهم الى النشاط في افكارهم ومواجهة موجة الأفكار والآراء الرجعية المهيمنة انذاك وان من تزعم المطالبة بالحرية الفكرية لم يكن بعيدا عن شلة(حسين الرحال) الاشتراكية التي راحت تطالب بالحرية الفكرية لضمان حرية التعبير في طرح كل ماهو جديد وتقدمي.

واذ اتخذت النقاشات والبحوث الفكرية التقدمية في الفترة التي عاشها الرحال وشلته ثوب الدراسات الادبية، فأن رواد الفكر الاشتراكي كانوا أيضاً أول من نصبوا أنفسهم ليؤكدوا قدرة الحركة الأدبية في العراق على الارتباط بحركة الواقع وبالانعطافات المهمة في تاريخنا الحديث.

واذا كان الشعر العراقي الحديث قد بدا يهتم بمشاكل الحياة الاجتماعية ويصورها بشكل واقعي مهتماً بكل ماهو جديد فيها، فان الفن القصصي في محاولاته البكر، على يد الاشتراكي(محمود احمد السيد) حمل ألسمة المتميزة التي جعلته يصب في المجرى العام لكتابات الواقعية متجاوزاً المرور التقليدي بالرومانسية او الرمزية وباتجاهات الفن للفن التي شاعت في ثقافة الغرب الليبرالي.

ان دراسة تاريخ العراق الحديث تبين لنا ان النهوض الفكري الاشتراكي في العراق كان محصلة روافد ثقافية متعددة. فقد كان للمؤثرات العربية والأجنبية وأصدائها ثقل على توسيع الأفق الفكري للمثقفين العراقيين. بعد عام ١٩٠٨م اصبحت تركيا اكثر تأثيراً في الفكر العراقي الحديث فقد كان اكثر المثقفين يعرفون التركية ويدرسون بلغتها فتعرفوا على التيارات الفكرية الحديثة التي بدأت تصبغ الفكر التركي الحديث منذ القرن التاسع عشر وضمنها التيار الاشتراكي الذي يشق طريقه في الفكر التركي وبرز فيه الكتاب والأدباء والكتب المترجمة الجادة.

وكان لمصر الفضل الكبير في توسيع مدارك المتعلمين في العراق وتهيئتها لتمثل الافكار الاشتراكية، فقد ظلت(المقتطف) وغيرها من المجلات المصرية موضع اهتمام الشبان تدعوهم ليقرءوها ويكتبوا فيها. وأطل العراقيون على الفكر الاشتراكي عن طريق الكتب الاشتراكية، المؤلفة والمترجمة بعد ان نظروا الى مصر على انها المنبع العربي للاشتراكية، فتوجهوا صوب مفكريها يطلبون منهم الرفد، فاتصلوا بنيقولا حداد، مما يدل على تطلعهم الواعي نحو معرفة جديدة على الدوام.

كما استمر هذا الرافد العربي عن طريق سوريا ولبنان أيضاً، إضافة الى ذلك فقد رفد الاذهان العراقية ما ورد من روسيا قبل وبعد ثورة اكتوبر الاشتراكية عام ١٩١٧م من مؤثرات فكرية تقدمية.

فقد وصلت أخبار الحرية الثورية الروسية الى الشرق قبل ثورة اكتوبر في العراق وتعاطفت مجلة "الرقيب" البغدادية معها واستمرت اشعاعات هذه الحركة أبان الحرب العالمية الاولى، ولقد رافق عملية تعرف العراقيين على(البولشفيك) وانفتاحهم على اخبارهم بداية تثبيت اقدام الانجليز في العراق.لذلك حاول المحتلون صد هذا التيار الذي بدأ عبر الأناضول او عن طريق بلاد فارس بواسطة الرجعية والمتعلمين العائدين الى الوطن . وصار لهؤلاء البولشفيك أنصار عديدون بدافع من وعي بسيط ناتج عن كراهية للانجليز والاستعماريين الفرنسيين والقياصرة الذين فضحت ثورة اكتوبر مشاريعهم الرامية الى تقسيم الولايات العثمانية فيما بينهم. وعبر الصحف والمجلات المعادية والمناصرة للبلاشفة تسربت بعض المعارف والصور لما كان يجرى في روسيا السوفياتية أضافة الى هذه المؤثرات العربية والاجنبية كان هناك بعض الأجانب ممن يحملون الفكر الاشتراكي قد جاءوا الى العراق وبدأوا يبذرون هذا الفكر في رأس من يتصلون به كالمعلمة الأمريكية (كلير) وناظر المعارف الاسترالي(رايلي) إضافة الى الاسكتلندي (دنونون مكنزي) صاحب مكتبة(مكنزي) آنذاك.

تلك هي الروافد التي شكلت المؤثرات الخارجية الأولى للفكر الاشتراكي في اذهان المتعلمين العراقيين، بينما يقف حسين الرحال ليشكل مع جماعته محور وأساس المؤثرات الداخلية لبناء صرح الفكر الاشتراكي في العراق الحديث.

ايد حسين الرحال انتخاب عبد الرحمن النقيب على اعتبار ان هذا الانتخاب يمثل مرحلة اولى للعبور نحو النظام الجمهوري

ولد حسين علي صائب الرحال في بغداد ١٩٠٥م من عائلة متوسطة الحال كان أبوه ضابطاً للاملاك السنية العائدة للسلطان عبد الحميد، وقد اشتهر بنزاهته، حيث النزاهة نادرة بين موظفي حكومة السلطة العثمانية آنذاك. وكرس جهوده لتربية اولاده وتنشئتهم نشأة تعليمية حديثة، وقد مات ولم يترك بعده سوى البيت الذي كان يسكنه وأولاده.

عندما عاد "حسين الرحال" من ألمانيا الى العراق في نهاية عام ١٩١٩م كان قد وجد من سبقه ممن تأثر بالفكر الاشتراكي امثال "حمدي الباجه جي" و"مزاحم الباجه جي".

ولقد عرف العراق في وقت مبكر الكثير ممن كتب عن الاشتراكية قبل(حسين الرحال). ففي معرض حديثه عن "مبدأ المساواة" كتب الصحفي(محمد عبد الحسين) عن الاشتراكية عام ١٩٢٠م.

لكن الذي يدور من هذا الحديث أن علاقة(محمد عبد الحسين) بالفكر الاشتراكي لا تتجاوز الاطلاع على هذا الفكر بالرغم من انه عام ١٩١٨م عاد من إيران وهو يحمل كثيراً من الافكار الاشتراكية على شكل غير منظم، وكان المحامي (عبد الرزاق عدوة) مطلعاً أيضاً على الفكر الاشتراكي من خلال حديثه عن ماركس والحركة الاشتراكية الألمانية، ولكن علاقته بالفكر الاشتراكي هو أيضاً لا تتعدى حدود الاطلاع.

اما حسين الرحال فأن اشتراكيته من نوع آخر.

فكيف تأثر (الرحال) بالفكر الاشتراكي؟

لم يكن "حسين الرحال" قد اكمل دراسته الثانوية عندما أرسل من قبل الحكومة العثمانية الى ألمانيا مع أول قطار ذاهب الى هذه البلاد بعد افتتاح خط سكة حديد (بغداد- برلين)عام ١٩١٦م.

وكان يحمل في سفرته هذه رسالة من قريبه (صبيح نشأت) الى (توفيق الخالدي) الذي كان مقيما في برلين حينذاك، وقد تم له فعلا الاتصال بـ(توفيق الخالدي) بعد ان استقر في سكناه في منطقة(سيرندورت ميته) في برلين ثم بدأ دراسته في مدرسة الهندسة المسماة مدرسة (كيني).

ان الدعوة للنظام الجمهوري، في الوقت الذي كانت تسود فيه على الصعيد العالمي الأنظمة الملكية التي اشتهرت برجعيتها، كانت تلك الدعوة تمثل البداية الأولى لتفتح عقل (الرحال) على الفكر المتحرر.

وكانت هذه البداية قد تكونت نتيجة حضور(الرحال) اللقاءات التي اعتاد أن ينظمها(الخالدي) صاحب الميول الجمهورية، في بيته كل يوم أحد مع الطلبة العرب في برلين.

وقد كانت الصحف الألمانية وسيلة (الرحال) للاطلاع على الفكر الاشتراكي، وبقدر ما استطاعت هذه الصحف أن تهيئ ذهن (الرحال) لتقبل الفكر الاشتراكي و أن تجعله مألوفاً لديه فأنها لم تستطع، مع ذلك، أن تدفع به حد التمسك بهذا الفكر حينها.

ولكن ما ان اندلعت الثورة العمالية في برلين عام ١٩١٨م، وكان السبارتاكيون (عصبة الماركسين الشيوعيين الألمان) من ورائها، حتى هزت هذه الثورة(حسين الرحال) هزاً عنيفا وبدأ بالتساؤل عن طبيعتها فيذكر قائلاً: "سألت حانوتيا وزوجته عما اذا كانت الثورة تستهدف أعادة الملك فردريك،

فأجاباني متحسرين لعهد فردريك، بأنها ثورة عمالية".

وأثناء الثورة تطور الأمر عند(الرحال) الى التفاعل مع افكارها الاشتراكية. وقد لعب أصدقاؤه الطلبة الألمان المؤيدون للثورة دوراً كبيرا في ذلك، لاسيما أن قسما كبيراً منهم كان أبائهم وإخوانهم وأخواتهم ممن ساهم في هذه الثورة، وقد اعتاد هؤلاء الطلبة الذهاب الى مناطق الثورة وكان(الرحال) يذهب الى هناك بصحبتهم.

وفي هذه المناطق كان يستمع الى خطب (روزا لوكسمبورغ) و(كارل ليبكنخت) وغيرهما من القاده الاشتراكيين الماركسيين. بيد أن الثوار كثيراً ما كانوا يبعدونهم عن مناطق الثورة خوفا عليهم. ولكن بالمقابل كانوا يزودونهم بنشريات الثورة التي كانت تحمل اسم" حكومة المجالس" وأغلب هذه النشريات كانت تطبع في مناطق(هنغاريا) . ومن النشريات التي كان قد قرأها(الرحال) اثناء ذلك كراس بعنوان (حكومة السوفيات في هنغاريا)، كما قرأ جريدة(القلم الاحمر) إضافة الى الجريدة البرلينية (برلينو تاكة ملال).

أن هذه النشريات كانت محملة بالافكار الاشتراكية. وقد عكف(حسين الرحال) على قراءتها بفهم بالغ. وقد شكلت هذه المنشورات، إضافة الى وقائع واحداث ميدان الثورة، الأساس في تكوين فكر(حسين الرحال) الاشتراكي. وبقدر ما تم تكوين فكره الاشتراكي عبر الثورة العمالية الألمانية، فأنه كان قد اتخذ طابعاً خاصاً يتميز بالحركة والفعالية، وكان ذلك سبباً في الا يكتفي (حسين الرحال) في أن يكون ذا تفكير اشتراكي، وأنما يعمل، بكل حماس، من اجل بث الفكر الاشتراكي وخلق مناخ ذي تفكير اشتراكي.

وبهذه الروحية عاد (حسين الرحال) الى العراق. فعندما أعلنت الهدنة عام ١٩١٩م خيرت الحكومة التركية العثمانية طلابها في ألمانيا بين البقاء هناك لاكمال دراستهم على حسابهم الخاص وبين العودة على ظهر باخرة تركية تصل ألمانيا، وقد أختار(الرحال) العودة قبل أن يكمل دراسته وذلك بالنظر لصعوبات التحويل الخارجي.

وعندما عاد (الرحال) الى العراق كان عمره ثمانية عشر سنة، وكان يحمل معه العديد من منشورات الثورة العمالية ومن ضمنها كراس (حكومة السوفيات في هنغاريا) انف الذكر.

وفي طريق عودته يلتقي في سوريا بـ(ياسين الهاشمي) ويسأله الأخير عما يدور في أوروبا فيطلعه(حسين الرحال) على هذا الكراس شارحا له مضمونه. ويطلب(الهاشمي) منه ان يقوم بترجمته، وعندما يخبره(حسين الرحال) بضعف أسلوبه في الكتابة باللغة العربية يطلب(الهاشمي) من الصحفي (رشيد الهاشمي).. الذي كان معروفا آنذاك بقوة أسلوبه، بأن يساعد(حسين الرحال) في ترجمة الكراس المذكور.

وعندما وصل (حسين الرحال) العراق واصل اتصاله بالفكر الاشتراكي العالمي. فقد أستطاع أن يقنع صاحب المكتبة العصرية(محمود حلمي) بأن يقوم باستيراد الكتب الاشتراكية عن طريق وكلائه في الخارج، وقد تم فعلا الحصول، عن هذا الطريق، على بعض الكتب التي كانت تصدرها آنذاك دار النشر الخاصة بجريدة الحزب الشيوعي الفرنسي(اللومانتيه)، وكان أول كتاب قرأه(الرحال) بعد عودته الى العراق هو كتاب (الاستعمار أعلى مراحل الرأسمالية) لـ(لينين) باللغة الفرنسية، ثم اعقبه بكتابه الآخر (الدولة والثورة) وباللغة الفرنسية أيضاً، كما أستطاع أن يحصل عن هذا الطريق على بعض المجلات الاشتراكية منها مجلة (كابيه دي بولشفيك) التي كانت يصدرها التروتسكيون الفرنسيون. وقد قرأ لاول مرة شعراً لـ (ناظم حكمت) مترجماً الى اللغة الفرنسية، ويعد (الرحال) أول من عرف القراء العراقيين على الشاعر (ناظم حكمت).

وتأثر بأشعاره وبالمجلة الشيوعية التركية (رسم. بي.آي) أي" المجلة الشهرية المصورة"للشيوعية التركية" صبيحة زكريا على حد قول زكي خيري.

وقد أطلع (حسين الرحال) على أفكار (ميكيافيلي) وتوضح لديه أن دعاة فكرة ميكيافيلي صاحب كتاب(الامير) هم من اصحاب فكرة التوسع والاستيلاء، وانصرف (حسين الرحال) الى التزود بالمزيد من الفكر الاشتراكي وعن طريق مكتبة(مكنزي) وبمساعدة الأخير أستطاع فعلاً أن يحصل على كتاب (رأس المال) بكل اجزائه بسعر ٢٦ روبية، ولم يكن يكتفي بقراءة ما تيسر له من الكتب الأجنبية، وانما كان يقوم بترجمة وتلخيص البعض منها فلديه ترجمة لقصة (أوجين آزيف) عن زعيم حزب الاشتراكين الثورين الروس (أيفان نيكولا ديفتش) ودراسته بعنوان (مفهوم الثورات في العالم القديم)، ودراسته اخرى عن (تربية الطفل عبر التاريخ)، ودراسات ناقصة اخرى غير منشورة أيضاً تحت عنوان (اشتات ملمومة)، والتي يبرر (حسين الرحال) عدم مواصلته أتمامها بمقولة لغوته تقول(انه في عدم قدرتك على أتمام شيء يكمن سر عظمتك).

وأن هذه المجموعة تضمنت، كما كتب الرحال في أوراقه هذه، المواضيع الستة التي بدأ بكتابتها ولم يتمها والتي صممت ووضعت معالمها وهي فن الترجمة، وعلى طريق بهارات، ملحمة جلجامش، دون كيشوت، المرأة في سيرتها، اللغة العربية واللغات الأوروبية وتطورها. كما ترك (الرحال) دراسة قصيرة بأربع صفحات عن الاشتراكي الألماني (بيبل)، واخرى بصفحتين رونيو بعنوان (نوعان من الحروب وموقف حركة السلام منها) زينها بمقولة لينين (من الضروري في كل حرب تنشب تعيين محتواها السياسي).

إضافة لذلك فأن (حسين الرحال) اشترك مع عبد المجيد كمونة في وضع كتاب قانوني عام ١٩٥٣م يحمل عنوان (الإدارة المركزية والإدارة المحلية في العراق).

وقد كان (حسين الرحال)حريصا على قراءة ما يترجمه هو ويلخصه على اسماع الناس المقربين اليه، وكثيراً ما كانت تتم هذه القراءة في المقاهي البغدادية التي يؤمها هو وأصدقاؤه. كما لم يكن (حسين الرحال) يكتفي باقتناء نسخة واحدة من الجرائد والمجلات الاشتراكية الأجنبية، فكثيراً ما كان يطلب (٦) نسخ بقصد توزيعها على أصدقائه ممن يعرفون اللغات الأجنبية.

وفي الأخير لم يكن (حسين الرحال) يبخل على أحد بإعارة ما لديه من كتب ومجلات اشتراكية فلقد كان يستلم بانتظام مجلة (ليبر مونثلي) الانجليزية التي كان يصدرها آنذاك (بالم دات).

وفي عام ١٩٢٨م التقى به صدفة(زكي خيري) وكان الأخير آنذاك موظفاً صغيراً في الكمارك، وكان (حسين الرحال) يحمل نسخة من هذه المجلة وعندما الح (زكي خيري) عليه بالسؤال مما يحمله أجابه (الرحال) بالحقيقة وطلب أليه (زكي خيري) أعارتها له فحذره (الرحال) من مغبّة قراءة مثل هذه المجلات ولكن أمام إصرار (زكي خيري) على قراءتها لم يتردد (الرحال) في أعارته أياها.

وراح (زكي خيري) يقرأها بنهم ليعيدها في اليوم الثاني طالباً منه المزيد من اعدادها القديمة، ولم يبخل(الرحال) عليه بذلك وخصوصا بعد أن لمس مدى تأثير هذه المجلة في تفكير (زكي خيري) خصوصا وأن الاخير في الفترة التي استعار فيها المجلة لم يكن تفكيره الاشتراكي بعد واضحا تماماً.

لقد تجسدت المواقف العملية لـ(حسين الرحال) منذ بداية وصوله العراق. فعندما عاد(توفيق الخالدي) وطرحت مسألة نظام الحكم المرتقب في العراق، وقف(حسين الرحال) الى جانب (الخالدي) في تأييد وترشيح (عبد الرحمن النقيب) على اعتباره أن انتخابه يمثل مرحلة أولى للعبور نحو النظام الجمهوري، وبعدها انصرف (حسين الرحال) الى عقد الندوات الثقافية في مقاهي بغداد مع النشاط الصحفي فأصدر مع جماعة من المثقفين التقدميين صحيفة (الصحيفة) في ٢٨ كانون أول ١٩٢٤م وكتب فيها مقالات ناضجة وفق نهج اشتراكي علمي (ينظر مثلا العدد الاول في ٢٨ كانون الثاني ١٩٢٤م مقالة (المحيط الطبيعي والمحيط الاجتماعي، والعدد الرابع في ٢ شباط ١٩٢٥م مقالة (أخلاق الإقطاعيات – الافتتاحية) والعدد الخامس في ١ مارس ١٩٢٥ مقالة(نظرية التاريخ) والعدد السادس من مارس ١٩٢٥ مقالة (هل هناك عروق ممتازة ؟)، ثم اشترك (حسين الرحال) مع الصحفي (ميخائيل تيسي) صاحب مجلة (الناس الشوارع) في إصدار جريدة (سينما الحياة) في ١٧ كانون الأول ١٩٢٦، وهي أول جريدة عراقية وصفت نفسها بأنها جريدة اشتراكية بمعنى كونها جريدة شعبية من الشعب الى الشعب وعليه فستكون وقفا لخدمة العموم وأحوالهم الاشتراكية، ثم اشترك (حسين الرحال) في التظاهر ضد زيارة الزعيم الصهيوني (الفريدموند) الى بغداد عام ١٩٢٨م وتم اعتقاله مع مجموعة كبيرة من المثقفين التقدميين.

بعد ذلك ابتلعه العمل الوظيفي وترك الميدان الذي كان أول المساهمين في الدخول اليه وتطويره، وقبل تلك المغادرة وحين عودة (حسين الرحال) من ألمانيا تعرف في بغداد على (محمود احمد السيد) وربطته به صداقة قوية . وكان يتم اللقاء بينهما أول الأمر في أحد غرف(جامع الحيدر الخانه) وفي هذه اللقاءات كان لمحمود احمد السيد والرحال أصدقاء آخرون كان قد تعرف عليهم الرحال فيما بعد منهم (عبد الله جدوع ومحمد سليم فتاح وإبراهيم القزاز ومصطفى علي وعوني بكر صدقي وكمال صالح وفاضل محمد البياتي وغيرهم.

حول هذه اللقاءات يقول مصطفى علي أن احدهم كتب وأسمه (بطاطو) انه شاهد في التحقيقات الجنائية تقريراً عن مجموعة من الماركسين هم محمود السيد وحسين الرحال وعوني بكر صدقي ومصطفى علي وغيرهم يجتمعون في غرفة في جامع الحيدر خانة.

والحقيقة أن هذا التقرير يؤشر ظهور أول حلقة من الماركسين العراقيين حاولت تأسيس اول منظمة شيوعية ضمّت كلا من حسين الرحال، عوني بكر صدقي، مصطفى علي، محمد سليم فتاح، محمود السيد، عبد الله جدوع وفاضل محمد.

ويقول في هذه اللقاءات عوني بكر صدقي انه عام ١٩٢٠م كانت اجتماعاتنا في غرفة (السيد) بجامع الحيدر خانة تلك الغرفة التي سميناها آن ذاك بـ(الصومعة)وكانت غرفة مثالية ممتعة وكان رفقاؤنا صفوة من الأخوان الذين لم يكونوا ممن لوثتهم الأطماع والمآرب الوضيعة.

وقد اثر (حسين الرحال) على أصدقائه تأثيراً كبيرا بسبب ما كان يملكه من قدرة على القراءة بلغات أجنبية متعددة (الانجليزية، والفرنسية، الألمانية، التركية) وبالتالي التزود بالثقافة الأوروبية بالقدر الذي لم يكن الآخرون يستطيعون بلوغه وقد أثر (حسين الرحال) بوجه خاص على محمود احمد السيد الذي تفتحت مواهبه واتضحت جهاته الاشتراكية والإنسانية.

١٠٠ عام على ميلاد صديقة الملاية

ذاكرة عراقية

كمال لطيف سالم

صديقة الملاية من الأصوات النسوية البارزة في غنائها العراقي التي استطاعت ان تجد لها مكاناً بارزاً ومرموقاً بين الأصوات التي عاصرتها على الرغم من انها خريجة الوسط الشعبي الذي كانت طقوسه تنحصر في الأفراح والتعازي حيث كانت تقام العزاءات والندب في البيوت، فكان صوت «فرجة بنت عباس» وهذا اسمها الأصلي ينطلق من بيت الى بيت يشدو ليفرح ويبكي في ان واحد، وقد قدر لهذه الفتاة ان تصبح نجمة الملاهي والمسارح، وان يتوفر لها وقت خاص في دار الإذاعة العراقية لتقدم أغانيها الشعبية المحببة سنة ١٩٣٦ والذي يتفحص الوثائق يعرف ان صديقة الملاية ولدت عام ١٩٠٩ في بغداد ومن بيوت لندب غنت في ملهى الشورجة، وفي عام ١٩١٨ بزغ نجم هذه المطربة التي هام بها أكثر من شخص من مشاهير عصرها.

سجلت على الأسطوانات مجموعة كبيرة من الأغاني منها «الافندي» و«الجار خوية الجار» و«فراكم بجاني» و«عبودي جاي من النجف» و«على جسر المسيب سيبوني».

وفي أواخر أيامها فقدت بصرها ولجأت الى الاستجداء في باب شعبة الحسابات في الإذاعة لولا المعونة التي كانت تقدمها الإذاعة اليها.

وضيف الأستاذ عبد الرحمن فوزي بعض المعلومات عن أخريات أيام المطربة صديقة الملاية حيث قال: في ذلك اليوم الذي مازلت اذكره جيداً كنت قاصد الحسابات التي كانت بنايتها مستقلة عن مبنى الإذاعة وقبل ان أصل الى الدائرة استوقفني منظر امرأة عجوز تبعث عن الشفقة والرثاء وعندما توقفت قليلاً لاستجلي الأمر وإذا بي أصدم، المرأة العجوز كانت المطربة صديقة الملاية.. با للزمن كانت صديقة الملاية عندما تقصد الإذاعة لتسجيل أغانيها كانت تلبس عشرين حلية ذهبية حتى انها تعرضت ذات مرة الى سلب حليها، وكانت ترفل بالمال والعز، وإذا بالزمن يفعل فعله معها.

المشهد دفعني الى إذاعة أغانيها بصفة حفلات غنائية وكنت أصرف لها من ٥-٦ دنانير متجاوزاً بذلك التعليمات المالية، فقد تحملت المسؤولية لأعوض هذه المغنية التي كان لها شأن ذات يوم، والأمر الأخر أنني كنت أدعو المرحوم حسن خيوكة للجلوس فقط في مقهى عزاوي وأصرف له مبلغ حفلة كاملة.

وقد أهتم الأستاذ محمد القبانجي بها حتى سنة وفاتها في نيسان عام ١٩٦٩ وهي أول مطربة تجيد قراءة المقام، حيث تعلمت بعض المقامات على يد المرحوم رشيد القندرجي كمقام البهيرزاوي والجبوري والمحمودي والحكيمي والمدمي.

ويقول الناقد الموسيقي عادل الهاشمي عن صوتها: كان اسمها الحقيقي فرجة بنت عباس، ثم أطلقت عليها مجالس التعزية النسائية اسم صديقة وأضيف لها الملاية كناية عن الصداح والجهارة المؤثرة والقوية التعبير التي كان يتمتع بها صوتها داخل هذه المجالس، وقد امتازت بصوت رنان عميق قوي يعد كنزاً من الكنوز فيما لو تعهدته بالرعاية والعناية والتربية الفنية المحكمة الصحيحة، لكن هذا الصوت النادر أنحدر انحداراً مخيفاً وحاصرته انشغالات طاحنة واجهت حياتها لتجبرها أخيراً الى الخلود للراحة والاستقرار، حيث أنعمت عليها دار الإذاعة العراقية بمنحة شهرية لسد حاجاتها.

لقد أجادت على نحو عجيب غناء بعض المقامات العراقية السهلة وألمت بمعرفة خبيرة بجميع الأغاني العراقية القديمة، ان صوتها عانى من بعض الغلظة التي تجسمت في السنوات الأخيرة من حياتها الفنية فهي تعني بأقصى الطاقة ما بين القرار والجواب، بنيرات غليظة فخمة وحادة وتسلل اسمها من ذاكرة الأسماع، لكن بقيت لأغانيها تلك الحلاوة الخاصة لتي تميزت بها.

اشتهرت المطربة الراحلة صديقة الملاية بعدة أغاني منها «الافندي» و«يا كهوتك عزاوي بيها المدلل زعلان».

وتروي بعض المصادر الى ان هذه الأغنية كانت تغنى «يا كهوتك حي جاسم أو باسم» كان يغنيها كذلك بهذه الصيغة الأستاذ القبانجي، وهناك أسطوانة لهذه الأغنية بهذه الصيغة أيضاً، وهي مقهى معروفة باسم صاحبها المرحوم الحاج جاسم وتقع في منطقة الصدرية.

المطربة صديقة الملاية غنتها بـ«يا كهوتك عزاوي» وهي الأخرى مقهى معروفة أيضاً حتى الآن باسم مقهى الأوبرا في منطقة الميدان، فشاعت الأغنية في الأوساط الشعبية وطغت على كل الأغاني الشعبية الشائعة آنذاك.

مطربات عراقيات في مجلة مصرية

تجمع هذه الصورة النادرة التي التقطت في بغداد العام ١٩٣٨ ونشرت بإحدى مجلات القاهرة بنفس العام بين ثلاثة من أساطين الغناء العراقي الأولى «مائدة نزهة» التي يذكرها النقد الفني أن الغناء العراقي لم يشهد صوتا نسائيا مهما بعد اعتزال «مائدة نزهة»، وسليمة مراد الشهيرة بـ«سليمة باشا» إحدى قمم الغناء العراقي منذ أواسط العقد الثاني من القرن العشرين. حيث احتلت مكانة مرموقة في عالم الغناء العراقي، ثم تحولت في آخر أيامها إلى إدارة الملهى الذي افتتحته مع زوجها المطرب ناظم الغزالي الذي غنى العديد من أغانيها القديمة، لأنها وكما هو معروف قد سبقته في الغناء وعند وفاة ناظم الغزالي بصورة مفاجئة اتهمت سليمة مراد بأنها هي التي قتلت زوجها المطرب ناظم الغزالي الذي كان يصغرها بسنين عديدة. لكن الدلائل أثبتت عكس ذلك وكانت وفاته بداية انتكاس لها، حصلت سليمة مراد على لقب (باشا) من رئيس وزراء العهد الملكي نوري السعيد الذي كان معجبا بها، كما حصلت على مديح كوكب الشرق أم كلثوم التي زارت العراق وغنت في ملهى الهلال عام ١٩٣٥.

أما الثالثة فهي المطربة والمونولوجست والأديبة العراقية عفيفة اسكندر التي خاضت إلى جانب الغناء أكثر من تجربة سينمائية منها فيلم القاهرة. بغداد الذي تم تصويره في استوديو مصر وأخرجه احمد بدر خان وشارك في تمثيله إضافة إليها حقي الشبلي ومديحة يسري وبشارة واكيم وآخرون، ولها تجربة أخرى لم تتمها مع محمد عبد الوهاب والمخرج محمد كريم. وحين عادت إلى بغداد عرض عليها محمد عبد الوهاب العودة إلى القاهرة لإعادة تسجيل أغنيتها في فيلميوم سعيد فاعتذرت برقة كي لا تؤخر العمل في الفيلم ولم تعد إلى القاهرة حيث استقرت في بغداد مع زوج عراقي أرمني يدعى اسكندر اصطفيان.. ومن القصائد التي غنتها كانت من اختيارها منها يا عاقد الحاجبين وقف واستمع دقات قلبي وبلغي يا ريح عنا أهل بغداد السلاما وطال ليلي واشتياقي ويح نفسي وته دلالا وقصائد أخرى. ويذكر أن كلا من نزهة وعفيفة قد زارتا القاهرة في الثلاثينات وعملتا في فرقة ببا عز الدين. ١٩٣٨